

المحركات

المجلة الفصلية

قصص / مُثُل عليا / ثقافة

العدد الصيفي لسنة 2019م

اقتصاديات روبن هود

أدموند فالديشتاين
Edmund Waldstein

اقتصاديات المحبة

بيتر مومسن
Peter Mommsen

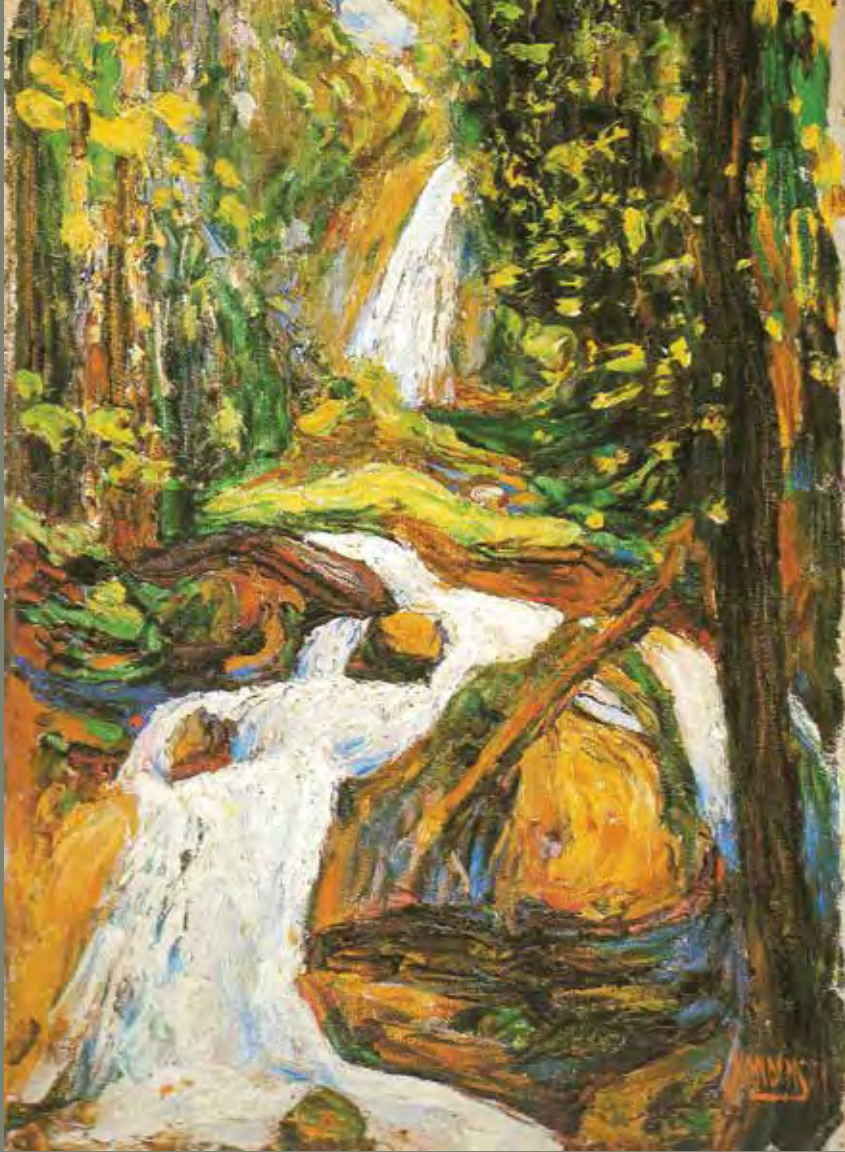
الحياة المشتركة

هاينريش آرنولد
Heinrich Arnold



البرأسمالية

مستقبل



لوحة بريشة فاسيلي كاندينسكي Wassily Kandinsky، بعنوان شلال كوتشيل،
وهي لوحة زيتية على قماش، عام 1900م

المحراث الفصلية

حجر الأساس لعالم متجدد

العدد الصيفي لسنة 2019م

اقتصاديات المحبة

5

بيتر مومسن Peter Mommsen

اقتصاديات روبن هود

16

أدموند فالدينشتاين Edmund Waldstein

ما الذي يكمن وراء الأسهمالية؟

27

ديفيد بنتلي هارت David Bentley Hart

الحياة المشتركة

39

هاينريش آرنولد Heinrich Arnold

غوستاف لانداور Gustav Landauer

49

جيسون لاندسل Jason Landsel

www.plough.com/ar



تعرف على المجتمع الذي يدير دار المحراث للنشر

تُنشر مجلة المحراث الفصلية من قبل برودرهوف Bruderhof، وهي حركة دولية للحياة المسيحية المشتركة، التي تتألف من العائلات والعزاب، الذين يسعون لاتباع يسوع المسيح معًا. ويلتزم أفراد برودرهوف بأسلوب التلمذة الملتزمة للمسيح بروح الموعدة على الجبل. وبالهام الكنيسة الرسولية الأولى (سفر الأعمال، إصحاح 2 و 4)، فإنهم يتخلون عن الملكية الخاصة طوعاً بدافع المحبة، وعندهم كل شيء مشترك، ويعيشون حياة مسالمة من اللاعنف، والعدالة، وخدمة القريب والبعيد على قدر المستطاع، والتأكيد على الأسرة والتربية والوفاء المؤبد في الزواج. ويشمل المجتمع أشخاصاً من خلفيات متنوعة. وهناك ثلاث وعشرون مجتمع من مجتمعات برودرهوف في مناطق ريفية وحضرية لعدد من البلدان، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وإنجلترا، وألمانيا، وأستراليا، وباراغواي، وبنحو 2900 شخص ككل.

ولمعرفة المزيد أو ترتيب زيارة، تفضلوا بزيارة موقع برودرهوف العربي على الإنترنت:

www.plough.com/ar

اقتصاديات المحبة

أعظم من الرأسمالية – والاشتراكية

بيتر مومسن Peter Mommsen

نفوس جيله من الشباب، حيث يقول: «هنيئًا
للذي كان حيًا في ذلك الفجر،/ ولكنها جنة
عندما يكون المرء شابًا!» لقد شعر بالتأكيد
هو وزملاؤه الثوار الذين كانوا يطمحون إلى
تغييرات جذرية في المجتمع - «نحن الذين كنا
أقوياء في المحبة» - بالقدرة على عمل تغيير
حقيقي هنا والآن: «ليس في العالم المثالي....»

وعود الثورة الفرنسية الرائعة:
الحرية، والمساواة، والأخوة، جعلت
الشاعر الإنجليزي الكبير ويليام
ووردزورث William Wordsworth، الذي
كان بعمر 21 عامًا، يشعر بالنشوة. وإذا عدنا
إلى الماضي، إلى تلك الفترة، فسنجد أنه قد
نظّم قصيدة مشهورة التي أثارت الحماسة في

بيتر مومسن Peter Mommsen هو رئيس تحرير مجلة المحرّات الفصلية وبعيّن في ولاية نيويورك مع زوجته
ويلما Wilma وأطفالهما الثلاثة



كل شيء مشترك

بيتر فالبوت Peter Walpot (ولادة 1521-وفاة 1578م) أسقف هوتري Hutterite. كتب كتابا كلاسيكيا ممتازا عن شهادة الإيمان المسيحي لجماعة الأنابتيست Anabaptist الإصلاحية بعنوان: «The Great Article Book» (أي معنى: كتاب المقالات المهمة) وقد أُخذت منه هذه القراءة:

إنّ الممتلكات لا تلعب أيّ دور في حياة الكنيسة المسيحية؛ بل إنها تنتمي إلى العالم، وإلى الوثنية، وإلى أولئك الذين ليس لديهم محبة الله؛ إنها تناسب أولئك الذين يعيشون وفقا لإرادتهم البشرية. فلو لم يكن هناك تشبث عنيد بالإرادة الذاتية أو بالرغبات الذاتية، لما كانت هناك أيّ ملكية. ولكن، من ناحية أخرى، فإنّ المجتمع الحقيقي المتقاسم في الخيرات والممتلكات مناسب للمؤمنين، لأنه، كما يقول أغسطينوس، يجب أن يكون كل شيء مشتركا بحسب الحقّ الإلهي، وينبغي أن لا يأخذ أحد لنفسه ما هو لله، أي أكثر مما يريد من الهواء والمطر أو الثلج أو الماء، وكذلك الشمس والقمر وبقية العناصر.... فكل من يسيج ويستملك ما هو مجاني؛ وما ينبغي أن يكون مجانيا، فإنه يسلك بعكس ما يريده الله الذي صنع ذلك الشيء وخلقه ليكون مجانيا، ويعتبر هذا السلوك خطيئة.... ولكن من خلال شرور حب الاكتساب والتحصيل لدى الناس، ومن خلال الحسد والجشع، يضع الجميع كل شيء في جيبه. إذ يقول أحدهم: «هذا لي»، ويقول الآخر: «هذا لي»، وهكذا نشأ انقسام بين البشر، وحصلت عدم مساواة كبيرة في هذه الحياة. وللأسف، فقد بلغ الوضع مبلغه بحيث أنهم لو كان في وسعهم الاستيلاء على الشمس والقمر وبقية العناصر، فسوف يستملكونها ويبيعونها مقابل المال.

المصدر: كتاب «True Surrender and Christian Community of Good» (أي بمعنى: التكريس الحقيقي والحياة المسيحية المشتركة) الجزء 143، تحرير روبرت فريدمان Robert Friedmann، مجلة مينونايت الفصلية Mennonite Quarterly Review، يناير/كانون الثاني، 1957م.

ولكن في العالم الواقعي هذا، الذي هو عالمنا أجمعين.»

وقد تمت ملاحظة حَمِيَّة الشاعر الشاب ويليام ووردزورث عبر القرون الفاصلة. أما في القصيدة التي نظّمها في عام 1805م بعنوان The Prelude (بمعنى المقدمة)، التي تظهر فيها الأبيات أعلاه، فقد حظيت تفاصيل البرنامج الثوري الفرنسي باهتمام ضئيل. لأنه ما كان يهم هو الإحساس باحتمالات لا نهاية لها، والإثارة والفرح بتكاتفنا «نحن» معا لتشكيل عالم جديد.

تظهر هذه الإثارة في الأجواء مرة أخرى، عندما تبنتى مرشح رئاسي أمريكي بارز الاشتراكية، كما يفعل زعيم المعارضة البريطاني. وتتعجل الأحزاب الديمقراطية الاجتماعية في أوروبا في استعادة جذورها في الحرب الطبقية، من أجل درء منافسيها من أقصى اليسار. ونمت العضوية بين الاشتراكيين الديمقراطيين في أمريكا من ستة آلاف في عام 2016م، إلى حوالي ستين ألفا في عام 2019م. وأصبح لدى 51 في المائة من الأمريكيين الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانية عشر وتسعة وعشرين، وفقا لاستطلاع أجرته مؤسسة جالوب عام 2018م، نظرة إيجابية عن الاشتراكية (45% فقط في المئة يقولون الشيء نفسه عن الرأسمالية).

في أيامنا هذه، لا يتحدث كثيرا

النشطاء الذين يسعون إلى أحداث تغييرات جذرية عن حياة الهناء، وهذا ما يمكن ملاحظته في الأقل على الصفحات الصريحة في المجلات اليسارية، مثل مجلة «Jacobin» ومجلة «In These Times». ومع ذلك، هناك شعور بإمكانية تفتُّح أبواب جديدة للتغيير ومفاده أنه: قد حان الوقت الآن للتغلب على طغيان القوة الاستبدادية وسطوة الثروات، من خلال حركة تضامن جماهيرية.

يبدو أن معنى الاشتراكية يختلف من شخص لآخر؛ وكما كان الحال في أيام ويليام ووردزورث، لا تظهر تفاصيل برنامج محدد يقود الموجة المتطرفة. وبدلاً من ذلك، فإنَّ ما يسيطر على الناس هو شعور تحرري بوجود قضية للنضال من أجلها.

ما هذه القضية بالضبط؟
ولكن إنَّ أنصار الاشتراكية يعرفون الكيفية التي يضربون بها الرأسمالية بضربات فعالة، ولديهم شيء واحد على الأقل صحيح وهو: إننا نعيش في مجتمع يسوده غنى واسع وفقير مدقع، وهذه الحقيقة هي خبيثة عامة، التي لا يمكن لأي شخص من ذوي النوايا الحسنة أن يقبلها بسلام ويرتاح لها ضميره. وإنَّ أيَّ شخص يؤيد القاعدة الذهبية - «عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به» - هو ملتزم أخلاقياً بالسعي لتوفير أساسيات الحياة نفسها للآخرين كالتالي يرغبها لأسرته، مثل: الرعاية الصحية، والسكن اللائق، والتعليم، والأجر الكافي، والأمن في

سن الشيخوخة. أما افتقار الملايين من الناس إلى هذه الأساسيات في أغنى حضارة عرفها العالم، فيجب أن يصدم الضمير.

غير أن تشخيص المشكلة هو ليس العلاج حتى الآن. ويشعر الاشتراكيون في الواقع بالخجل عندما يتعلق الأمر بحقائق سيطرة الدولة على الاقتصاد بأكمله. وكتاب الكاتب السياسي الأمريكي بسكار سونكارا Bhaskar Sunkara على سبيل المثال الذي يحمل عنوان The Socialist Manifesto (بيان اشتراكي) الذي دار النقاش حوله كثيراً، يبدأ بفصل مضحك يحمل عنوان «يوم في حياة مواطن اشتراكي» حيث يتخيل المؤلف الولايات المتحدة في عام 2036م، حيث تم إلغاء العمل المأجور وتصبح وسائل الإنتاج عند ذاك مملوكة من قبل الحكومة. ولكن هذا الوصف الفاتر لشركة صلصة المعكرونة في نيو جيرسي المسماة «بونجيو في» Bongiovi وللثورة العمالية بقيادة مغني الروك الشهير بروس سبرينغستين Bruce Springsteen هو وصف بعيد كل البعد عن الأمثلة الواقعية للحكم الاشتراكي، مثل الأزمة المستمرة في فنزويلا. وهكذا، فإنَّ هذه النظرة السريعة إلى مستقبل بديل توصلنا إلى عكس ما نريد. فعلى أن نؤمن هذه المرة، بأن التوافق الناجح بين الديمقراطية والنوايا الحسنة، سيؤدي إلى التغلب بطريقة أو بأخرى على سجل الاشتراكية الطويل المتمثل في الانزلاق إلى الديكتاتورية والقمع.

في هذه الأثناء، يشعر الرأسماليون اليمينيون بالضياع، فيما يتعلق بالغايات والوسائل. وإنَّ العديد من المحافظين الشباب يستنكرون بحق الطرق التي تدمر بها الرأسمالية أواصر التضامن والمجتمع والأسرة التقليدية. فهم يرون أن النخب الليبرالية في الرأسمالية تخرب بشدّة القيم التي تعطي المعنى والكرامة لحياة العمال الفقراء، مثل: الزواج، وروابط الإيمان، ومثُل الأنوثة والرجولة، والولاء للمكان، والشعور بالانتماء. وقد نشرت مجلة First Things (الأشياء الأولى) مؤخرًا بيانًا قويًا يقول: «نحن نعارض مجتمعًا عديم الإنسانية وقائم على الرفاهية الفردية..... ونقاوم الليبرالية المستبدة.... ونريد دولة تعمل لصالح العمال.»

ويوجد لدى الموقعين على هذا البيان اقتراحات محددة، حول كيفية التقدم نحو هذه الأهداف. ورغم ذلك، فإنَّ الملامح النهائية للمجتمع التي تفي حقا بتطلعاتهم، تظل غامضة بشكل محبط. وإنَّ اقتراحاتهم لتوزيع الخيرات التي تظهر عبر الإنترنت المتمثلة في شعارات المصلحين مثل - ثلاثة فدادين وبقرة - وشعار استعادة هابسبورغ - تبدو كلها غير محتملة مثل الشيوعية المثالية لكارل ماركس.

وفي اتهاماتهم للرأسمالية، يشترك المحافظون والاشتراكيون ببعض الأرضية المشتركة الهامة، رغم أن الحلول التي يطرحونها متباينة جدا. ويقف كلاً من

المحافظين والاشتراكيين ضد المدافعين عن النظام الرأسمالي الحالي، من أمثال المؤلف ستيفن بينكر Steven Pinker، الذي يذكر إحصاءات إيجابية عن الرأسمالية وتوضح ارتفاع دخل الفرد وزيادة متوسط العمر المتوقع، وانتعاش الحرية الشخصية، من أجل اتهام منتقدي الرأسمالية بنكرانهم للجميل. وردًا على ذلك، يستطيع نقاد الرأسمالية أن يسيروا إلى إحصاءات أخرى سلبية وقائمة: فقد ارتفع معدل الأمراض العقلية في أغنى بلدان العالم، في حين أن ما يسمى بوفيات اليأس الناجمة عن الانتحار، وتناول جرعات زائدة من المخدرات، تصل إلى مستويات الأوبئة المعدية. ويبدو أن انخفاض معدلات المواليد في البلدان التي ترتفع فيها مستويات المعيشة، يُمثّل التشاؤم بشأن مستقبل البشرية. وهناك خطر يلوح في الأفق نتيجة للتغير الكارثي للمناخ، الذي تسببه الرأسمالية بشكل كبير. فيسأل نقاد الرأسمالية: أهذا حقا شكل الاقتصاد المُحِبِّ للإنسانية؟

إن الحريصين على حياة أفضل من الرأسمالية، يجب أن يتخذوا قرارًا حاسمًا، ويجيبوا على هذا السؤال: أيكمن أم لهم الرئيس في استلام مقاليد السلطة الحكومية؟ فهذا ليس المكان المناسب لاستكشاف مجال استخدام السياسة وحدودها، لكن يجب على المسيحيين خاصة، أن يضعوا في اعتبارهم الجوانب السلبية الكامنة في أيِّ محاولة لتأمين الصالح العام



الشركة المنظورة للقديسين

بيتر ريدمان Peter Riedemann (ولادة 1506- وفاة 1556م)، الذي كان من أوائل الرعاة الكنسيين للحركة الإصلاحية المعروفة باسم أنابابتيست Anabaptist، كتب لاهوتا دفاعيا، إلى فيليب أمير مدينة هيسه الألمانية Philip of Hesse الذي كان يحتجزه سجيناً، وذلك في عام 1542م، وقد تم اقتباسه هنا:

إنّ الحياة المسيحية المشتركة تتضمن المشاركة في كلّ من العطايا الروحية والمادية. فإنّ جميع عطايا الله، وليس العطايا الروحية فحسب، بل العطايا الدنيوية أيضاً، قد وهبت لكيلا يتم الاحتفاظ بها، وإنما لكي يتم المشاركة بها بعضنا مع بعض. لذلك، يجب أن لا تكون شركة القديسين منظورة في الأمور الروحية فحسب، بل في الأمور الدنيوية أيضاً. ويقول القديس بولس: إنه ينبغي أن لا يكون لأحد وفرة، وغيره يعاني من الحاجة؛ بل يجب أن تكون هناك بدلا من ذلك مساواة (2 كورنثوس 8: 7-15).... ولا تزال الخليقة تشهد اليوم، بأن الله منذ البداية، قد أوصى بأن لا يمتلك الناس شيئا بصورة منفردة، ولكن يجب أن تكون جميع الأشياء مشتركة فيما بينهم (تكوين 1: 26-29). إلا أنه من خلال أخذ ما كان عليهم تركه، وترك ما كان عليهم أخذه (تكوين 3: 2-12)، بدأ الناس يحتفظون بالأشياء لأنفسهم واعتادوا على تكديسها، وصار موقفهم يتصلّب في هذا المجال. فمن خلال هذا الاستملاك واكتناز الأشياء، ابتعد الناس كثيرا عن الله لدرجة أنهم نسوا الخالق (رومة 1: 18-25).

المصدر: كتاب: «Peter Riedemann's Hutterite Confession of Faith» (أي بمعنى: شهادة الإيمان المسيحي للكنيسة الهوتريّة بقلم بيتر ريدمان Peter Riedemann)، ترجمة وتحرير جون ج. فريسين John J. Friesen (دار المحراث، 2019م)، ص 119.

من خلال استخدام نهج الإرغام الذي تستخدمه الدولة.

ترتكز أيّ رؤية جادة للصالح العام على قناعات أخلاقية. ومع ذلك، فإنّ فرض الدولة للمعتقدات الأخلاقية هو بمثابة وضع ديانة رسمية للدولة. (حتى أن نداء مارتن هاجلونند Martin Hagglund للاشتراكية في كتابه This Life (هذه الحياة) يسميها «الإيمان العلماني.») ومهما كانت العقيدة، سواء كانت - ديانة الإلحاد الرسمية للسياسي الفرنسي روبسبير، أو التكاملية الكاثوليكية المناهضة للتعددية في المجتمع، أو نظام تدوين تطور سلوك الطالب، أو قانون الشريعة الإسلامية - ففي اللحظة التي تكون العقيدة فيها مدعومة بسيف الدولة، سوف تلعب دور المفتش الكبير الكافر في رواية دوستوفسكي، الذي يُقدّم سعادة رخيصة الثمن مقابل الاستيلاء على الحرية الروحية أو حرية اختيار المعتقد. يجب أن يخشى المسيحيون من القيام بهذا الدور باعتباره يشكّل تهديدا لفضيلتهم. لأن قوة السلطة تفسد الدين من الداخل، عن طريق استعمال الإكراه بدلا من القبول الحرّ؛ وكلما اشتدّت ممارسة الإكراه، تعمّق الفساد الروحي لدى الناس. كما احتج ترتليان الذي كان أحد آباء الكنيسة الأوائل بقوله: «من المؤكد أنه لا يوجد



الحياة المسيحية المشتركة عطية الروح القدس

يريد الله أن يجمع على الأرض شعبا بحيث يكون منتسبا إلى خلقته الجديدة. وهو يدعوهم إلى تشكيل مجتمع جديد، يجعل سلامه وعدالته ملموسين على أرض الواقع، حيث تتلاشى الملكية الخاصة، ويكونون جميعا مُتَّحِدِينَ في رابطة التضامن والمساواة، التي يقول فيها كل واحد: كل ما لديّ مُلْكٌ للآخرين، وإذا كنت أنا في حاجة في أي وقت ما، فسوف يساعدني الآخرون. عندئذ يمكن أن تتحقق وصايا يسوع التالية فعلا: «فَلَا تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ؟ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا تَطْلُبُهَا الْأُمَّمُ. لِأَنَّ آبَاءَكُمْ السَّمَاوِيِّ يَعْلمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا. لَكِنْ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَزَادُ لَكُمْ» (متى 6: 31-33).

خرج مثل هذا الشعب إلى حَيِّزِ الوجود في مدينة أورشليم في أول عيد للعنصرة. وكما هو موضح في الفصل الثاني والفصل الرابع من سفر أعمال الرسل، فقد حلَّ الروح القدس على المؤمنين الذين تجمعوا بعد قيامة يسوع المسيح، ووُلِدَتْ أول كنسية تعيش الحياة المشتركة. وكما كان الحال آنذاك، يمكن أن يكون ذلك الحال اليوم أيضا، كلما تفيض موهبة الروح القدس على جماعة من الناس. فإنهم سوف يمتلئون بمحبة للمسيح، وبمحبة أخوية بعضهم لبعض، وستقودهم شركة المحبة إلى المشاركة في خيراتهم، ومواهبهم، وحياتهم، كشهادة جريئة للإنجيل. فهذه هي دعوتنا في كنيسة الحياة المشتركة.

من: كتاب: «Foundations of Our Faith and Calling» (أي بمعنى: أسس إيماننا ودعوتنا)، لكنيسة الحياة المشتركة «برودرهوف» وهو عن نظام حياة الكنيسة، (دار المحررات عام 2012م)، ص 5.

في الدين ما يفرض الدين.»
ومن أجل توضيح المسارين المتناقضين اللذين يمكن للمسيحيين اتخاذهما، دعونا ننتقل إلى الماضي وإلى الجذور الروحية للمجتمع الذي انتمي إليه، وهو مجتمع برودرهوف Bruderhof، في زمن الإصلاح الكنسي الأصولي في القرن الميلادي السادس عشر. فقد سعى المدعوون بالمصلحين الكنسيين القضائيين في ذلك الوقت، أمثال مارتن لوثر وجون كلفين، إلى تطهير انتهاكات الكنيسة في العصور الوسطى، من خلال التحالف مع الأمراء العلمانيين، مستخدمين سلطة الدولة لفرض ما اعتقدوا أنها تعاليم إنجيلية مُنقَّاة من الأخطاء.

على النقيض من ذلك، انبثق الإصلاحيون الأصوليون من حركة شعبية من أجل العدالة بين عامة الناس. وصاغ الفقراء مطالبهم في اثني عشر مادة، التي أُعتبرت أول وثيقة معاصرة لحقوق الإنسان في أوروبا. وتضمنت مناشدات لإنهاء المعدلات القاسية للضرائب والعشور والعمل الإجباري، إضافة إلى دعوات للسماح لعامة الناس بالتمتع بخيرات الخليقة، التي قد أعطيت أصلا للبشرية جمعاء، إذ تقول الوثيقة: «إنه ليس من الإخاء ولا يتفق مع كلمة الله، أن لا يكون للإنسان البسيط الحق في صيد الطيور والأسماك.»

وعندما تحولت احتجاجات الفقراء إلى أعمال عنف في عام 1525م، أعلن كل

من لوثر ورجال الدين الكاثوليك، إعطاء بركة الله على حملة القمع الدموية التي قام بها الأمراء بحقّ الفقراء؛ وقُتل ما يقدر بمائة الف. وقد وُلدت حركة الإصلاح الكنسي الأصولي، في أعقاب هذا القتل الجماعي الذي أقرّته الكنيسة. وبعد أن تعلمت الحركة دروسا مريرة حول حمل السلاح، كان قادتها يوعظون (في معظم الأحيان) باللاعنف. ثم إن حركتهم التي جسّدت المطالب الاثني عشر اللازمة لبناء مجتمع اخوي، أُعيد صياغتها عند ذلك الوقت بإلهام مسيحي. ولأنهم أصروا على المعمودية الطوعية للبالغين بدلا من المعمودية الإلزامية للرضع، لُقّبوا باسم أنابابتست Anabaptists (أي بمعنى المعمدين ثانية). وأصبحت «حركة أنابابتسم» جريمة تستحق عقوبة الإعدام في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وتم إعدام نحو ثلاثة آلاف من الأنابابتستيين في العقود التي تلت.

ورغم ذلك، انتشرت الحركة. وبدأ أفراد هذه الحركة المسيحية الجادة في حوالي عام 1527م، في دولة التشيك الحالية، بتشكيل مجتمعات أخوية تعيش حياة مسيحية مشتركة، متبعين نموذج المسيحيين الأوائل، حيث أصبح كل شيء مشتركا لجميع أفرادها. وأصبح هناك بحلول نهاية القرن، ما يقرب من مئة مجتمع من هذا القبيل، فيها نحو عشرين إلى ثلاثين ألف نسمة، يعيشون في مجتمعات طوعية. ورغم أنه تم القضاء عليهم

تقريبا خلال حرب الثلاثين عاما في أوروبا، إلا أنهم نجوا. وفي فترة لاحقة، هاجر أحفادهم، المعروفون باسم الهوترين Hutterites، إلى الولايات المتحدة. وإن زوجتي وأطفالي هم أحفاد فخورون لهؤلاء المزارعين الشجعان، الذين تعرضوا قبل خمسة قرون لخطر التعذيب والموت، من أجل العيش في رؤية مسيحية تطوعية للحرية والمساواة والإخاء.

هذا العدد من مجلة «المحراث»

من قناعة جوهرية بالإصلاح
ينبع
المسيحي الخالص والجاد: بأن

هناك حياة مشتركة تتغلب على الاستغلال الاقتصادي، وهي حياة عملية وواقعية جدا ومستقلة تماما عن الدولة. فإن هذا المجتمع البديل ممكن الآن وهنا؛ ويستطيع أي شخص الانخراط فيه. وإن ما هو أكثر من ذلك، إنه رؤية موجودة منذ بدايات المسيحية. فإنه في قلب موعظة يسوع على الجبل، وفي جميع أنحاء العهد الجديد، وفي كتابات أنبياء العهد القديم أيضا. وقد تجلّت هذه الرؤية في الحياة الجماعية المتقاسمة للكنيسة الأولى في أورشليم، فيقول الإنجيل: «وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعًا وَكَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكًا. وَالْأَمْلاكُ وَالْمُقْتَنِيَّاتُ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَقْسِمُونَهَا بَيْنَ الْجَمِيعِ كَمَا يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ اخْتِيَاَجٌ» (أعمال 2: 44-45).

لا شك أن بعض قراء «المحراث» القدامى أخذوا يتمتمون الآن: ها نحن بدأنا ثانية بالموضوع نفسه. نعم نحن نستمر في

قوله، لأن التحديات التي يطرحها الاشتراكيون تتناول جزءاً من إعلان يسوع بأن المسيحية السائدة قد انحرفت بمسافة هزيلة لا سبيل إلى تجنبها. فمثلما يجري تهميش وصايا يسوع المسيح الصعبة بشأن الطلاق واللاعنف، هكذا يجري تهميش وصاياه بشأن الغنى والملكية الخاصة «بكامل الأدب»، ويحاول الناس تبرير عدم التزامهم بها بأنها كانت مجرد جزئية تاريخية أو مبالغة خطابية. وإلا فهناك بديل آخر، وهو أن هذه التعاليم يُنظر إليها على أنها دعوة خاصة للرهبان، والنُّسَّاك الزاهدين، والمبشرين، وهي عمل بطولي يجب أن لا يسعى إليه عامة الشعب. ويجري استبدال تعاليم المسيح هذه الخاصة بالفقر الطوعي وكرم التضحية، بمكارم الطبقة الوسطى في الإشراف الإداري وتقديم الصدقات.

إلا أن تعاليم يسوع الاقتصادية هي جزء لا يتجزأ من الحياة التي علّمها، مثل أي من وصاياه الأساسية الأخرى، مثل: محبة أخينا الإنسان ومحبة الأعداء، أو استبشاع الرياء، أو الصدق، أو العِفَّة والنقاوة الجنسية، أو أعمال الرحمة. فهذه التعاليم ليست أقوالاً متفرقة، ولكنها مترابطة كلها معاً؛ إنها أسلوب حياة حُدِّدت خطوطه العريضة في الموعظة على الجبل، وهي وحدة واحدة، مُكِّن الشخص في آن واحد، وتتطلب التحرر من الممتلكات الخاصة. فقد قال المسيح: «لَا يَقْدِرُ خَادِمٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الْآخَرَ، أَوْ يُلَازِمَ الْوَاحِدَ

وَيَحْتَقِرَ الْآخَرَ. لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدُمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ»، فهذه حقيقة تتناول جميع مجالات الحياة. ويكرر الرسل وآباء الكنيسة الأوائل ويؤكدون الحقيقة نفسها.

إن هذه العلاقة المتشابكة كسلاح ذي حدين ولها تأثير إيجابي وسلبي: إذ إن فقدان المسيحية لعنصر واحد - موقفها الأصلي الخالص بشأن الاقتصاد - ينتهي به الأمر إلى تقويض مطالبها الأخرى أيضاً. وسيكون من الأسهل بكثير الدفاع عن قدسية الحياة، إذا كان بإمكان المسيحيين أن يшиروا إلى كنائسهم كمجتمعات تقدم دعماً اقتصادياً وعاطفياً سخياً للأهالي الجدد، ولأسر الأطفال المعاقين. ومن المرجح أن الزيجات سوف تستمر دون طلاق إذا تحررت من الضغوط التي يسببها انعدام الضمان الاقتصادي. ويبدو أن نصيحة «لَا تَهْتَمُّوا لِلْعَدِ» هي نصيحة حمقاء - ما لم يكن لدى أي شخص مجتمع كنيسة متضامن يتدخل عندما يفقد وظيفته أو يعاني من مرض خطير. كما أن وصية يسوع المسيح باللاعنف تصبح أكثر قابلية للفهم (رغم أنها غير متوقعة بصورة أقل) إذا لم يعد على المرء أن يدافع عن ممتلكاته الخاصة، من أجل نجاة أسرته. هذه مجرد أمثلة قليلة على القوة المقنعة التي ستكتسبها المسيحية من خلال رفض المساومة على حب المال.

يتعلق الأمر بالأخلاق أو السياسة أو اللاهوت، فإن قادة الثقافة المسيحية

عندما

لا يفتخرون من الاستفزاز، بمن فيهم أولئك الذين يتصفون بوصمة راديكالية - ولكنهم يميلون إلى السير بحذر حول موضوع علاقة الدولارات والفلوس بالتلمذة للمسيح. ويصادف المرء باستمرار الادعاء الجاف نفسه بأن حياة التقاسم الاقتصادي هامشية، وطائفية، وحرّفيّة، ومتطرفة، ويستحيل تطبيقها عمليًا بتاتا.

من المهم أن نقوم بالتمييز بأن العهد الجديد لا يتحدث عن الفقر الطوعي والمشاركة في الممتلكات كمطالب أخلاقية جامدة ومُتزمّة، وكأنّ امتلاك الممتلكات هو خطيئة في حد ذاته، مثله مثل خطيئة الشهوة أو عبادة الأصنام. وينبع سوء الفهم هذا من الحاجة الحرفية أو الناموسية لتحويل طريق المسيح إلى قائمة من الواجبات والمحظورات. حاشاله: إنّ الحياة المشتركة في العهد الجديد هي ببساطة تعبير عملي عن المحبة عندما تفيض لتشمل المشاركة في الاقتصاد والأمور المالية أيضا. وبطبيعة الحال، فإنّ الحياة المسيحية المشتركة المدفوعة بالمحبة الأخوية الغامرة يمكن أن تأخذ العديد من الأشكال المختلفة. وإليكم بعض الأدلة المباشرة على أن الحياة الأفضل من الرأسمالية هي ليست بعيدة المنال مثلما يجري تصويرها:

ففي هذا الصيف، تحتفل مجتمعات «برودرهوف» ببداية الذكرى المئوية للعيش معا في حياة مسيحية كليّة المشاركة. وكان لمجتمعات كنيستنا عبر تاريخها نصيبها من

العيوب والحقاقت، تماما مثل أيّ جماعة من البشر. ولكن بفضل نعمة الله، وبفضل دعم الأصدقاء البعيدين والقريبين، لا يزال موجودين بحياتنا المسيحية المشتركة.

لقد نشأت جماعة «برودرهوف» في لحظات محمومة مليئة بالأحداث على نحو غير عادي: ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة. فقد انتقل اللاهوتي ايرهارد آرنولد Eberhard Arnold مع أسرته في عام 1920م، من مدينة برلين إلى قرية صغيرة، من أجل البدء بمجتمع مسيحي يعيش حياة مشتركة بصورة طوعية. وكانت هذه الجماعة في البداية، حلقة من الشباب المسيحي الذين أصيبوا بخيبة أمل من تواطؤ الكنيسة في الأمور العسكرية التي أدت إلى الحرب العالمية الأولى. ولمّا كانت موعظة الجبل ميثاق هذه الجماعة، استمدوا الإلهام من الكنيسة الأولى، ومن حركة الإصلاح الكنسية الجادة أنابابتسم Anabaptism، وكذلك من فرنسيس الأسيزي وكليبر، ومن أوائل جماعة الكويكرز، ومن الحركة الاشتراكية الدينية التي شملت كريستوف بلومهارت Christoph Blumhardt وكارل بارت Karl Barth. وجاءت فكرة هذا المجتمع الريفي من غوستاف لانداور Gustav Landauer، الذي كان يهوديا وله رؤية مذهب اللاسلطوية التي تدعو إلى تنظيم مجتمعات تطوعية تعاونية وغير هرمية دون اللجوء إلى القوة أو الإكراه، وكان غوستاف لانداور

قد تم اغتياله من قِبَل السِّفَّاحين اليمينيين في العام السابق (المذكورة قصته في هذا العدد من المجلة)؛ وكان غوستاف لاندور قد ألهم حركة كيبوتس أيضا،^[1] التي كانت تتشكل في الوقت نفسه تقريبا.

وبعد مرور قرن من الزمان، لا تزال مجتمعاتنا صغيرة بالمقارنة مع العديد من الكنائس الأخرى. ومع ذلك، فهي تضم ثلاثة آلاف شخص من جنسيات متعددة - في أكثر من عشرين موقعا في القارات الخمس - يعيشون معا، ويتشاركون في كل شيء. وفي مجتمعاتنا، فإنّ هذه المشاركة تأخذ صيغة تقديم نذر الفقر المؤبد: فكل منّا لا يملك أيّ شيء إطلاقا.

إنّ هديني من ذكر هذه التفاصيل ليست لأجل التهنئة الذاتية، ولكن مجرد لأجل تثبيت حقيقة مُجربة على أرض الواقع، وهي أن: الناس يمكنهم أن يعيشوا بهذه الطريقة. ويمكن أن تحصل الحياة المشتركة في بيئات جغرافية متنوعة، وبتنوع ثقافي كبير، على مدى خمسة أو ستة أجيال. وبالطبع، فإنّ مجتمعات «برودرهوف»

[1] كيبوتس Kibbutz هو مجمع يهودي سكني وتعاوني، متقاسم في العمل ومصاريف المعيشة الرئيسية، وهناك الكثير من الكيبوتسات في إسرائيل.

هي مجرد مثال حديث في التاريخ الطويل للمجتمعات المسيحية التي تعيش حياة مشتركة. لقد صرخ الوثنيون قائلين عن الكنيسة الأولى وفقا لثرتليان في عام 197م: «أنظروا كيف يحب بعضهم بعضا.» ولم تكن المحبة التي أثارت إعجاب الوثنيين مسألة مشاعر رقيقة بين المسيحيين الأوائل، بل

عملا ملموسا من خلال المساعدة المتبادلة، كما يصفها المؤرخ آلان كريدر Alan Kreider في كتابه «The Patient Ferment of the Early Church» (أي بمعنى: الخميرة الصبورة للكنيسة الأولى).

وحسب تعبير المحامي المسيحي مينوسيوس

فيليكس Minucius Felix في القرن الميلادي الثالث، «نحن لا نتحدث عن أشياء عظيمة، وإنما نعيشها.» فقد شكّل المسيحيون الأوائل مجتمعا بديلا، عمل فيه المتعلمون والأميون والعيبد والأحرار، على خدمة بعضهم البعض كإخوة وأخوات، ولا يدعى أي شخص منهم أنه يملك حاجة معينة لو كان غيره يحتاجها أكثر منه. ولو قلنا ما قاله الشاعر ووردزورث، فقد كان المسيحيون الأوائل «أقوياء في المحبة.»

بدءا من الكنيسة الأولى، ثم ميلاد الحياة الرهبانية في الصحراء المصرية، يشتمل

«نحن لا نتحدث عن أشياء عظيمة، وإنما نعيشها»

مينوسيوس فيليكس
Minucius Felix

من المجتمعات عبر الطيف المذهبي، من مجتمعات الفوكولاري الكاثوليكية الموجودة في إيطاليا، إلى المجتمع الإنجيلي أديديو Adsideo في ولاية أوريغون، إلى «دير يسوع الأنغليكاني» في كوريا الجنوبية.

يجب أن يذكرنا هذا التاريخ بإمكانيات الحاضر. ففي الوقت الذي يسأل جيل جديد أسئلة صعبة، عن العدالة والتضامن والسعادة الإنسانية، يجب علينا نحن المسيحيين أن نتذكر أننا قد تمكنا من الوصول إلى الإجابات طوال الوقت. ويجب أن نعرف من بين جميع الناس أن: حياة أخرى ممكنة.

نحن لسنا بحاجة إلى مسيحية ذات عدالة اجتماعية ضحلة، تترنح من قضية تقديمية إلى أخرى ولا تعرف إليها سبيلا. فيمكننا في الواقع الحصول على الشيء الحقيقي، ألا وهو: طريقة الحياة التي علمنا إيها يسوع المسيح في الموعدة على الجبل. فهذه الحياة موجودة لكي نعيشها. ولكّ الهناء ما دُمّت حيّا. ✍

هذا التاريخ على مجموعات متنوعة، مثل رهبانيات البينديكتين الأولى التي يرجع تاريخها إلى 1500 عام، والحركات الإصلاحية مثل الفرنسييسكان، والولدنسيون Waldensian في فترة العصور الوسطى، والبيجوينز Beguines، والبيغارذز Beghards، والإخوة المورافيون، ومجتمعات الرهبان اليسوعيين المعروفة باسم رودكسيون في باراغواي والبرازيل،^[2] وجماعة كيدنج الصغيرة Little Gidding التي خلدها الشاعر تي. إس إليوت T. S. Eliot، وجماعة «عائلة يسوع في الصين»، وحركة دوروثي داي للعمال الكاثوليك، والمجتمعات الشعبية Comunidades de Base في أمريكا اللاتينية. وتوجد اليوم العديد

[2] رودكسيون: مجتمعات من سكان أمريكا اللاتينية الأصليين من الهنود الحمر، أنشئت تحت سلطة كنسية أو ملكية لتسهيل الاستعمار. وكانت أفضل هذه المجتمعات المعروفة هي تلك التي أنشأها المبشرون اليسوعيون في باراغواي والبرازيل، حيث عُرفت باسم رودكسيون اليسوعيون.



أدموند فالديشتاين Edmund Waldstein

اقتصاديات روبين هود

خيرات الأرض ملك للجميع

عندها

صادف رجال عمدة البلد في

مدينة نوتنغهام البريطانية
Nottingham روبرن هود

في أعماق غابة شيرود، كان روبرن هود راكعا أمام مذبح الكنيسة وهو يستمع إلى صلاة القداس. وانتظر روبرن هود حتى انتهاء الذبيحة الإلهية المقدّسة قبل أن يتحول لقتالهم. وتصف القصة القديمة روبرن هود باستمرار بأنه كاثوليكي متدين ومؤمن، عفيف بصورة صارمة، وقد قيل إنه كان يستمع إلى ثلاثة قداديس كل يوم قبل وجبة الإفطار. وتُوصَف عصابة روبرن هود في الواقع، بأنها جماعة من الرجال المرحين، وتتبع نظاما شبه رهباني، وكان لهم صندوق مالي مشترك واحد. ووفقا لمسرحية «سقوط روبرت حاكم هنتينغدون، The Downfall of Robert, Earle of Huntingdon» من القرن الميلادي السادس عشر، المستندة على قصة قديمة، فإن جماعة روبرن هود قد نذروا أيضا التبتل في حياتهم، وإليكم بند من بنود الانضمام إلى الجماعة: «ثالثا، لا يحق لأي شخص يتبع روبرن هود / في شيرود، أن يتخذ زوجة أو أرملة أو خادمة، / أما الأفكار الشهوانية فتُطرَد بفضل العمل الحقيقي الشاق.»

رغم ذلك، أحب روبرن سرقة رؤساء وكهنة الأديرة الإقطاعية الغنية في إنجلترا: «كان ما يحصل عليه من صناديق رؤساء

الأديرة الثرية، ومتاجر الفلاحين الوفيرة، يشاركه في كثير من الأحيان مع الفقراء.» فكانت هذه الأديرة تمارس نوعا من الفقر - وكان لديهم كل شيء مشترك، وكان على كل راهب أن لا يحصل إلا على ما هو ضروري من المخزون المشترك - ورغم ذلك، كان الرهبان من الناحية المادية المشتركة، من ملاك الأراضي الأثرياء، وكان رجال الدين والقساوسة من ملاك الأراضي المنتفذين.

لقد قدّمت الأديرة الكثير إلى الفقراء، وكانت توفر لهم نوعا من الضمان الاجتماعي. (وكان حلّ الأديرة على يد الملك هنري الثامن قد أدى في الحقيقة إلى أزمة اجتماعية.) ومع ذلك، كانت الأديرة في نظر روبرن هود تقف إلى جانب الأغنياء الذين يأخذون حصة غير عادلة من المحاصيل التي ينتجها الفلاحون. وكان رجال الدين الوحيدون الذي أحبهم روبرن هود، هم الرهبان النساك الزاهدون، من أمثال الأخ توك Tuck، الذين كانوا مناصرين لتفسير جديد للفقر الديني، حيث كان من المفروض أن لا يوجد فيه ثراء المؤسسات التجارية.

من الواضح أن العالم في ذلك الزمان، الموصوف في الأغاني والقصة الشعبية لروبرن هود في القرن الميلادي الخامس عشر، عندما كان النظام الإقطاعي في فترة ما بعد انحسار الموت الأسود، يختلف تمام الاختلاف عن

الكاتب أدmond فالديشتاين Edmund Waldstein، راهب في دير الصليب المقدس [Heiligenkreuz](#) الديرسي في النمسا

عالم الرأسمالية العالمية في وقتنا المعاصر. ومع ذلك، يمكن لروبن هود في بعض النواحي أن يكون دافعا للتفكير في وضعنا الحالي.

إن الهدف الأساسي غير المباشر لسرقة روبن هود من الأثرياء من أجل أن يعطي للفقراء، هو تطبيق التعاليم المسيحية الثابتة التي تقول: إنَّ الله قد منح خيرات الأرض من أجل عيش جميع البشر. فهذا هو المبدأ الذي يدعوه التعليم الاجتماعي الكاثوليكي الحديث بـ «الوجهة العالمية للخيرات»، وهو يمثل تحديًا مُلِحًا لنا في عصرنا الحاضر.

وبصفتي راهبا

سيسترسيا Cistercian، أجد أن ازدراء روبن للأديرة في عصره، يثير أسئلة بالنسبة إليّ حول علاقة مجتمعي الرهباني، بمشاركة الجميع للخيرات، في إطار النظام الاقتصادي الأوسع. هذا هو السؤال الذي يجب على أي جماعة من المؤمنين، التي تحاول أن تعيش مثل الكنيسة الأولى، كما في كتاب أعمال الرسل (2: 44-45)، أن تطرحه: كيف يمكننا التفاعل مع النظام الاقتصادي الأوسع الذي يحيط بنا، دون أن نشترك أو نتواطأ في غياب العدالة في هذا النظام؟

وصايا السيد المسيح بالعتاء طوعيا ودون مقابل، تفي وتكمل تعاليم العهد القديم. فقد أعطى الله

الأرض للبشرية جمعاء. لذلك، فإنَّ إعطاء المحتاجين هو عمل عادل، حيث يُعطى لهم ما يستحقونه، مثل أولئك الذين أعطاهم الله الأرض.

بعد اهتداء الإمبراطور قسطنطين إلى المسيحية، ازداد عدد المسيحيين في المجتمع، وأصبح التحول للديانة المسيحية اختيارا أقل تعارضا مع ثقافة وطبائع البلد. وكان آباء الكنيسة مهتمين للغاية بإصلاح المسيحيين الأثرياء الذين فقدوا مبدأ المشاركة هذا، ويحجبون ثروتهم عن المحتاجين. وكان القديس باسيليوس الكبير في الشرق،

والقديس أمبروز في ميلانو في الغرب، يؤكدان بشكل خاص على هذه النقطة. وهكذا، يبيّن باسيليوس موقف الرجل الغني في المثل الذي ضربه يسوع المسيح في لوقا (12: 18-19) عندما قال الرجل الغني: «أَعْمَلُ هَذَا: أَهْدِمُ مَخَارِيزِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ، وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلَائِي وَخَيْرَاتِي، وَأَقُولُ لِنَفْسِي: يَا نَفْسُ لَكَ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ، مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ. اسْتَرِيحِي وَكُلِّي وَاشْرَبِي وَأَفْرَحِي!» ويجيب القديس باسيليوس هذا الرجل قائلا: «قُلْ لِي، ما الأشياء التي أنت تملكها؟ من أين حصلت عليها؟ هل قمت أنت بخلقها؟» إذ إنَّ الحبوب التي نمت في الحقل لا تنتمي في الحقيقة إلى الرجل الغني؛ إنها لأولئك الذين يحتاجون

لا بد لي من الاعتراف بأن روبن هود ربما يعارضني.

إليها. وبصورة مشابهة، ألقى القديس أمبروز وعظة حول قصة طمع الملك أخاب في كرم نابوت، التي استخدمها القديس أمبروز ليخاطب من خلالها مباشرة المواطنين الأثرياء في مدينة ميلانو الإيطالية، بهذه الأسئلة التي تدعو إلى البحث والتفكير: «إلى أي مدى، أيها الأغنياء، تمتد جشعكم المجنون؟...لماذا تمنع عن أخيك الإنسان ما أعطته الطبيعة لك وتطالب به لنفسك؟ لقد خُلقت الأرض من أجل الجميع، الأغنياء والفقراء. لماذا أنت وحدك، أيها الثري، تطالب بمعاملة خاصة؟» ليس ذلك من العدل، كما يعتقد أمبروز، أن يطالب الأغنياء بثمار الأرض لأنفسهم على وجه الحصر، في حين أن هذه الخيرات مُنحت للبشرية بصورة مشتركة.

في ضوء تعاليم الكتاب المقدس وآباء الكنيسة، تساءل اللاهوتيون الجدليون عما إذا كان يمكن تبرير حيازة الملكية الخاصة بأي حال من الأحوال.

فقد قال القديس توما الأكويني إنه رغم استخدام الخيرات أو التمتع بها يجب أن يكون دائماً أمراً شائعاً مشتركاً، بمعنى أن يستخدم كل شخص أو يستهلك ما يحتاج إليه فقط، فإنّ نظام إنتاج هذه الخيرات يمكن أن يكون خاصاً، بمعنى أنه يمكن لكل شخص أن يتصرف بما ينتج. فإنه في الواقع، يقدم أسباباً تؤدي إلى مجتمع مسالم وعادل، حتى تكون هناك ملكية خاصة بهذا المعنى المحدد. ويعتقد القديس توما الأكويني أن

الناس يميلون إلى العمل بجدية أكبر عندما يتحملون مسؤولية ما ينتجون. ويعطي مثالا للأسرة التي يوجد بها عدد كبير جدا من الخدم: في هذه الحالة، لن يزج بعضهم العمل من أجل المتجر المشترك، حيث يمكنهم الاعتماد على الآخرين للعمل من أجلهم: «كل رجل أكثر حرصاً للحصول على ما هو لنفسه بمفرده، مما هو مشترك بين الكثيرين أو للجميع: حيث أن كل واحد سوف يتهرب من العمل، ويترك للآخر ما يهتم المجتمع، كما يحدث عندما يكون هناك عدد كبير من الخدم.» وتؤكد تجربة الأنظمة الاشتراكية في القرن الميلادي العشرين رؤية القديس توما الأكويني هذه.

كما أنه يجادل بأن الأمور تكون أكثر تنظيماً، عندما تكون هناك ملكية خاصة، في حين ينتج الارتباك عن الشيوعية. ويبدو أن الفكرة تشير إلى أنه يتم التعرف على الاحتياجات ومن ثم سدّها بشكل أكثر كفاءة، عندما يتحمل كل شخص مسؤولية ما ينتج. ومع ذلك، يرى القديس توما الأكويني أن استخدام الخيرات يجب أن يظل مشتركاً. وهو يعني بهذا، أنه يمكن لكل شخص أن يحتفظ فقط بما يحتاج إليه للعيش، وأن يؤدي دوره في المجتمع بشكل مناسب. ويحتاج الشخص الذي له دور تمثيلي في المجتمع (الحاكم على سبيل المثال) إلى فخفة معينة لأداء هذا الدور، ولكن حتى في هذا المجال توجد حدود. ويلتزم كل شخص بالتخلي عن



ابتداء من البابا ليو الثالث عشر، طوّر مبدأ الوجهة العالمية للخيرات، وطبّقه على مشاكل الاقتصادات الحديثة. وهكذا، اعتقد البابا بيوس الحادي عشر، أن الحكومة عليها واجب تنظيم الملكية الخاصة، لتصحيح التوزيع غير العادل للخيرات. وكتب في عام 1931م يقول: «عندما تضيي الدولة على الملكية الخاصة الانسجام مع احتياجات الصالح العام، فإنها لا ترتكب عملا عدائيا ضد مالكي القطاع الخاص، بل تخدمهم خدمة ودية؛ لأنها تمنع بذلك بشكل فعال، الحيازة الخاصة للخيرات، والتي رتبها خالق الطبيعة في أكثر الحالات بحكمته، لدعم الحياة البشرية، ولمنع التسبب في شرو لا تطاق.» وقال البابا بيوس الثاني عشر، إن الوجهة العالمية للخيرات، تتطلب من البلدان المزدهرة، استقبال المهاجرين المحتاجين من البلدان الفقيرة.

لقد تم صياغة العبارة الفعلية «الوجهة العالمية للخيرات» من قبل مجلس الفاتيكان الثاني: «أيّا كان شكل الملكية، وفقا للتكيّف مع المؤسسات الشرعية للشعوب، ووفقا للظروف المتنوعة والمتغيرة، يجب

جميع السلع الزائدة عن الحاجة وتقديمها إلى المحتاجين. وهذا هو المبدأ المعروف الآن في اللاهوت الكاثوليكي باسم «الوجهة العالمية للخيرات.»

نتيجة لهذا المبدأ أعلاه، عندما يكون شخص في حاجة ماسة، فإنه قد يأخذ السلع من شخص لديه أكثر مما يكفيه، دون ارتكاب خطيئة السرقة. وهذا هو تبرير «مبدأ روبن هود» المتمثل في «سرقة» الأغنياء لمنح الفقراء. ولا يعتبر ذلك سرقة حقا، إذا كان الفقير في حاجة حقيقية، والأغنياء يعيشون في إفراط وتوافر حقيقي. أما في بلاد الراينلاند (غرب ألمانيا) فيُطلق على هذا النوع من السرقة كلمة فرنكسن fringsen وهي مأخوذة من اسم الكاردينال فرنكس Frings ، رئيس أساقفة مدينة كولونيا، الذي علّم أفراد رعيته، عندما كانوا يموتون من البرد بعد الحرب العالمية الثانية، على «سرقة» الفحم من ساحات الفحم التابعة لشركات السكك الحديدية.

إنّ التعليم الاجتماعي الكاثوليكي الحديث في القرن الميلادي التاسع عشر،



دير الصليب المقدس
Stift Heiligenkreuz
حيث يعيش الكاتب
كراهب

منذ بدايات الحركة الرهبانية في مصر في القرن الميلادي الثالث، تم الإقرار بأن المجتمعات المسيحية المتشاركة في الممتلكات، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعزوبية والطاعة. فمن دون التحرر من الاهتمامات الدنيوية التي تأتي بفضل نظام الطاعة، والعزوبية (1 كو 7: 33)، فإن الحياة المسيحية المشتركة لن تكون مُجدية. فمن خلال الاهتمام بأي ثروة لا لزوم لها، وفي غياب المشاركة التامة في الممتلكات، فإن العزوبية والطاعة تصبحان متساهلتان. وإنَّ أحد الأشياء التي أجدها رائعة في المجتمعات التي تعيش حياة مسيحية مشتركة مثل مجتمعات برودرهوف Bruderhof هو أنها تبدو كمثال معاكس ومضاد لهذه الحكمة القديمة للحركة الرهبانية، بما لديهم من طاعة، وحياة مشتركة، ولكن بدون عزوبية، لأنها تضم عازبا وعائلات على حد سواء. يعيش الدير الذي أنتمي إليه، دير

الانتباه دائماً إلى هذه الوجهة العالمية للخيرات الأرضية.» وقد ألمح المجلس إلى أنه في الاقتصاد المعولم، يتعين في بعض الأحيان، تغيير الوسائل التقليدية لتحقيق هذا المبدأ. وقد طور البابا بولس السادس هذه الرؤية في منشور «تنمية الشعوب»، والذي أكد فيه على أن الروابط التي نشأت بين شعوب مختلفة من العالم، تفرض مسؤوليات على من يعيشون في البلدان الغنية. إذ لا يمكننا الرضى عن العيش في وفرة، في الوقت الذي يكون فيه أطفال يتضورون جوعاً في المناطق الأكثر فقراً من العالم.

لا تزال الكنيسة الكاثوليكية تحتفظ بموقف القديس توما الأكويني، بأن نوعاً محدوداً من الممتلكات الخاصة يمكن أن يكون عادلاً، ومع ذلك، فقد اعتبرت دائماً أنه من الأفضل للمسيحيين أن يعيشوا في مجتمعات ليس فيها توزيع الخيرات فحسب، بل يكون إنتاجها أيضاً مشتركاً. وفي الوقت الذي يظن الناس أن المجتمعات الأخوية الكلية المشاركة ليست مفيدة للمجتمع ككل، إلا أنها في الحقيقة مفيدة جداً لدى المجتمعات الرهبانية. ونحن كرهبان قد كرسنا أنفسنا للعيش المشترك كعلامة على أورشليم السماوية القادمة. ونحن لا نتزوج ولا يفترض بنا أن نزوج. ونحن نخضع لطاعة النظام ورئيس الدير؛ ولدينا كل الأشياء مشتركة.

الصليب المقدس Heiligenkreuz في النمسا، وفقاً لمبادئ القديس بنديكت النورسي. وإنَّ القديس بنديكت جازم. وهو يكتب «قبل كل شيء»:

إنَّ رذيلة الممتلكات الخاصة يجب أن تنقطع عن الدير من جذورها. فينبغي أن لا يستغل أي فرد فيه إعطاء أو قبول أي شيء دون أوامر رئيس الدير، وأن لا يكون له أي شيء خاص به. لا شيء على الإطلاق: لا كتاب، ولا لوح كتابة، ولا قلم؛ لا شيء على الإطلاق، حتى أنه لا يسمح له بالسلطة على جسده وإرادته. ولكن دع الجميع يسترشدون برئيس الدير لاستلام ما هو ضروري. ولا يمكنهم الاحتفاظ بأي شيء لم يعطه رئيس الدير لهم أو يسمح به. ولتكن كل الأشياء مشتركة بين الجميع، كما هو مكتوب في الإنجيل عن الكنيسة الرسولية الأولى: «وَكَانَ لِحُجْمُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّ شَيْئاً مِنْ أَمْوَالِهِ لَهُ بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكاً» (سفر الأعمال 4: 32).

يريد القديس بنديكت أن يعيش رهبانه من عمل أيديهم، وأن يكونوا كرماء في مشاركة الخيرات التي ينتجونها مع الفقراء والذين بلا مأوى. وهو يدرك أن الرهبان سيضطرون في بعض الأحيان إلى بيع خيراتهم من أجل

شراء الحاجيات الأخرى، التي لا يستطيعون إنتاجها بأنفسهم. ولكنه يوصيهم ببيعها بقيمتها الحقيقية، بحيث يكون الغرض من المعاملة هو التبادل بدلا من الربح، فيقول: «وفي الأسعار نفسها، لا تدع رذيلة الجشع تتدفق إليك، بل دع الأشياء تباع دوما أرخص مما تباع من قبل الأشخاص الدنيويين، حتى يتمجد الله في كل شيء.»

لقد تحول شكل الحياة الرهبانية الخاص بالقديس بنديكت، ربما بصورة غير متوقعة، إلى ما نسميه الآن نجاحا اقتصاديا. وإنَّ التقسيم الفعال للعمل الذي يمكن تحقيقه، بواسطة مجتمع يعيش بنذور الطاعة، يعني أن الأديرة كانت جيدة في إنتاج السلع. ويظهر أن مبدأ البيع الدائم بأسعار أرخص من المنتجين غير الرهبان، هو وسيلة فعالة لجذب المشترين.

ومع ذلك كان هناك خطر كامن. فقد أصبحت العديد من الأديرة غنية جدا، وأصبح لمخازنها الكبيرة من البضائع تأثير سيء على الانضباط الرهباني. وقد تفاقمت هذه المشكلة في العصور الوسطى، حيث أصبحت الأديرة مندمجة أكثر فأكثر في النظام الإقطاعي. وغالبا ما كانت الأديرة تسيطر على الأراضي الإقطاعية، وعلى العمال الأقتان الذين عملوا في هذه الأراضي وسكنوها.^[3] لذلك، قضى الرهبان في القرن الميلادي

[3] قِنَّ وجمعه أقتان، عبد كان أبواه مملوكين لأسياده.

الحادي عشر طوال اليوم تقريبا في الصلاة، في دير كلوني الفرنسي العظيم Cluny. ولم يعود الرهبان يعيشون من عمل أيديهم، كما أوصت القاعدة الرهبانية، لأن لديهم أقنان يعملون من أجلهم. وليس من المستغرب أن يكره الأقنان أحيانا سادتهم الرهبان، لأنهم يعتقدون أنهم حصلوا على حصة غير عادلة من إنتاج عملهم.

إنّ الرهبة التي أنتمي إليها، وهي الرهبة السيسترسية، تأسست جزئيا كرد فعل لتلك المشكلة. فأراد الرهبان السيسترسيون Cistercians العودة إلى الالتزام الكامل للقاعدة المشار إليها أعلاه، والعيش من العمل اليدوي الخاص بهم. ومع ذلك، فإنّ الجزء الأكبر من العمل البدني، حتى في الرهبة السيسترسية، تم تقريبا من قبل «الإخوة العلمانيين» الأميين (من الفلاحين الذين دخلوا الدير)، بينما كان «الإخوة الرهبان» المثقفون (المعينون من طبقة النبلاء) أكثر انخراطا في العمل الفكري - مثل نسخ المخطوطات والتدريس وكتابة الأطروحات اللاهوتية - والصلاة الرسمية المتكررة. وعلاوة على ذلك، عندما كانت الأراضي تُعطى لهم لتأسيس الدير، كان الأشخاص الذين يعطوننا الأراضي، يُرحّلون الأقنان الذين كانوا يعيشون فيها من قبل، وينقلونهم إلى مكان آخر. لقد تم تأسيس الدير الذي أنتمي إليه في عام 1133م، عندما تبرع القديس ليوبولد الثالث Saint Leopold

III، حاكم النمسا، ببعض ممتلكاته الإقطاعية لمؤسستنا الرهبانية. ولا يزال بإمكاننا رؤية بعض الجدران الحجرية في الغابة خلف ديرنا، التي كانت تخص قرية تم نقل سكانها عندما تم تأسيس ديرنا. وكثيرا ما أتساءل عما كان يحسّ به الأقنان الذين عاشوا هناك، عندما اضطروا إلى مغادرة منازلهم. وقام الرهبان السيسترسيون في وقت لاحق بالسيطرة أيضا على منازل السكان الفلاحين في أراضيهم.

لا يزال لدى ديرنا

واليوم، الكثير من الأراضي التي أُعطيت لنا في العصور

الوسطى، ونحن نعيش بشكل رئيس من الأخشاب والحبوب والعنب المزروع عليها. ولا يزال هناك عدد قليل من الرهبان الذين يعملون في الأرض، ولكن بسبب الضرورات المختلفة عبر القرون، فإنّ معظم الرهبان «يعملون» ككهنة رعايا في الأبرشيات القريبة، أو كمدرسين في كلية اللاهوت التابعة لنا (كما أفعل أنا). ولكن هذا يعني أن معظم العمل في غاباتنا وحقولنا ومزارع الكروم، يتم الآن عن طريق العمل المأجور. ويحب عمالنا وموظفونا أن يستشهدوا بالقول القديم، «إنّ الحياة جيدة في ظلّ الصولجان المعقوف للكهنة» - وهذا يعني أن الكهنة أرباب العمل (يرمز إليهم بصولجان معقوف يحمله الأسقف كرمز للمنصب الإكليروسي) هم أكثر تساهلا من غيرهم. وإننا، في الحقيقة، نحاول اتباع التعليم الاجتماعي الكاثوليكي فيما يخصّ

كيفية معاملة أولئك الذين نوظفهم؛ إذ ندفع لهم الأجور الكافية لإعالة العمال وعائلاتهم، وما إلى ذلك.

ولكن هذا يؤدي في بعض الأحيان إلى مواقف صعبة. فنحن اعتدنا، على سبيل المثال، أن يكون لدينا منشرة لمعالجة الأخشاب من غاباتنا. ولو كان بإمكان الرهبان العمل في المنشرة بصورة كاملة، لكان ذلك مربحا. ولكن بما أننا قد اضطررنا إلى توظيف عمال بأجر، ولأننا دفعنا لهم ما يكفي من الأجر للمعيشة، فلن يكون بمقدورهم منافسة المناشير الكبيرة والواسعة النطاق، التي تديرها الشركات المنافسة. وأخيرا، بعد خسارة الأموال على المنشرة لعدة سنوات، قررنا إغلاقها. لقد كان قرارا صعبا، ونشأت الصعوبة من الضرورة شبه المحتومة للتفاعل مع النظام الرأسمالي الأكبر الذي يحيط بنا. فهذا النظام له ديناميكية خاصة به، يصعب الهروب منها.

وفقا لمبدأ الوجهة العالمية للخيرات، فإن جميع الممتلكات الفائضة عن الحاجة هي من حقّ الفقراء. ولكن الصعوبة تكمن في تحديد ما هو فائض عن الحاجة حقا. إذ إنّ قلب الإنسان مخادع، وماهر في خداع النفس. وربما يكون من الأسهل على المجتمعات المتشاركة أن تحكم بشكل موضوعي في هذا الأمر أكثر من الأفراد. ولكن حتى في المجتمعات المتشاركة، يمكن للمرء أن يجد ما أطلق عليه

ايبرهارد آرنولد Eberhard Arnold، مؤسس حركة برودرهوف للحياة المسيحية المشتركة، «أنانية جماعية».

كانت تجربتي الخاصة في العيش في الحياة المسيحية المشتركة في الدير تجربة تحررية. وبما أنني أتلقى كل ما أحتاجه من الدير، فلدي وقت كافٍ لتكريس نفسي للصلاة، وتعليم اللاهوت، والقيام بواجباتي الأخرى. ولكن لا بد لي من الاعتراف بأن روبن هود ربما يعارضني. ورغم أن ديرنا يحاول التخلي عن أكبر قدر ممكن من دخلنا، إلا أننا نحن الرهبان نعيش حياة مريحة إلى حد ما، مع طعام جيد وغرف دافئة. ويسرد القديس بنديكت الأشياء الضرورية التي يجب أن يتلقاها الراهب من رئيس الدير: قلنسوتان، وسترتان، وصنادل، وأحذية، وحزام، وسكين، وقلم، وإبرة، ومنديل، ولوح كتابة. وأخشى أنه إضافة إلى القلنسوة والسترة، لديّ معاطف وسترات وجوارب ومعدات تزلج، وما إلى ذلك. وقد أصبح لوح الكتابة الآن كمبيوتر محمول. ويتم منحي مرتبا شهريا لمصروف الجيب، لشراء الكتب والشوكولاتة وغيرها من الكماليات.

لكن بالطبع، سواء أوافق روبن هود علينا أم لم يوافق، فنحن ممتنون للأشياء الجيدة التي يعطيها الله. فالغرض الأساسي من الفقر الرهباني ليس احتقار العطايا التي وهبها الله للبشرية، ولكن أن نتماثل مع السيد المسيح. فهناك وقت للصيام والتكفير



شالون سور مارن، علّمهم أن يقبلوا الطعام الذي يُقدّم لهم مع الشكر، وقال: «سوف تكون آمنا في القيام بذلك، لأنه بفضل نعمة الله، أصبح من المناسب لك أن تستخدمه. ولكنك من ناحية أخرى، إذا كنت لا تزال مرتابا أو مخالفا، فسوف تقاوم الروح القدس، وتكون غير ممتن لنعمة.»

لقد كان روبن هود، في القصة الشعبية القديمة، يشتهر بالولائم السخية في الغابة. لذلك، فهو يتفق مع الأسقف ويليام حول هذه النقطة على الأقل. ➤

عن الذنوب، وهناك أيضا وقت للاحتفال، واستخدام خيرات الأرض للتعبير عن الفرح. ويقول الإنجيل: «لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب، فيقولون: فيه شيطان. جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب، فيقولون: هوذا إنسان أكل وشرب حمر» (متى 11: 18-19).

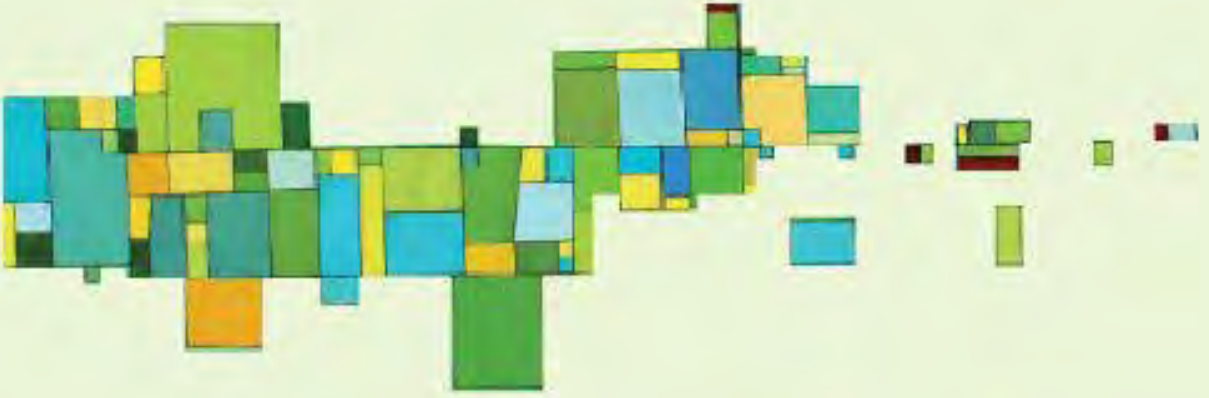
كان على الرهبان السيسترسيين الأوائل تعلّم هذا الدرس. ففي السنوات الأولى في دير سانت برنارد في كليرفو Saint Bernard's monastery at Clairvaux، لم يكن الرهبان راغبين في تناول أي شيء لذيد المذاق. ولكن عندما زارهم ويليام من تشامبو William of Champeaux، أسقف المدينة الفرنسية

رسم بريشة إن
سي وايث N.C.
Wyeth استعمله
الكاتب بولس
كريسويك Paul
Creswick في كتابه:
روبن هود Robin
Hood



ما الذي يكمن وراء الرأسمالية؟

استطلاع مسيحي



David Bentley Hart ديفيد بنتلي هارت

لا يمكن التوفيق بين الرأسمالية وتعاليم يسوع الناصري - أو هكذا يزعم ديفيد بنتلي هارت مترجم العهد الجديد (أي الإنجيل). فإنَّ السيد المسيح لم يَدِن الجشع في الثروات فحسب، بل أدان أيضا ظاهرة التملُّك في حدِّ ذاتها، وكان أتباع يسوع المسيح الأوائل شيوعيين متطوعين من تلقاء ذاتهم - لو جاز التعبير. وفي ظلِّ هيمنة قوى السوق التكنولوجي على عالمنا، فهل لا يزال الاقتصاد المسيحي الحقيقي ممكناً؟ وما مستقبل الرأسمالية، إن كان هناك شيء يذكر؟

1: ما الرأسمالية؟

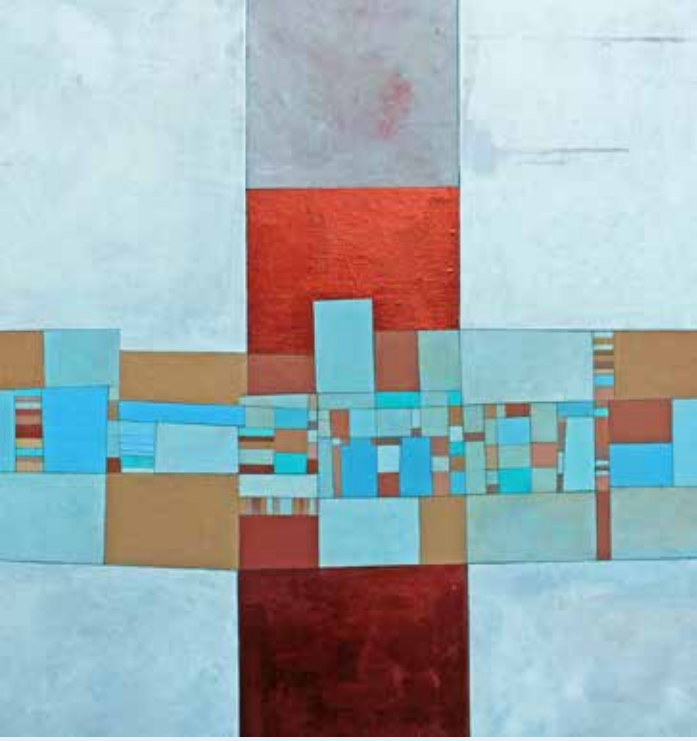
بشكل أكثر دقة إلى حد ما، للإشارة إلى فترة في تاريخ اقتصاديات السوق التي بدأت بشكل جدي منذ بضعة قرون فقط. والرأسمالية، كما يعرفها العديد من المؤرخين، هي مجموعة من الاتفاقيات المالية التي ظهرت في عصر التصنيع (الثورة الصناعية) التي حلت تدريجياً محل التجارة في العصر السابق. وكما حددها السياسي والفيلسوف الفرنسي برودون Proudhon في عام 1861م، بأنها نظام له قاعدة عامة وهي أن أولئك الذين يجنون أرباحاً بمصالح أعمالهم، لا يمتلكون وسائل الإنتاج ولا يتمتعون بثمار أرباحهم. لقد دمَّر هذا الشكل من التجارة وإلى حد كبير القوة التعاقدية للعمالة الماهرة الحرة، واستأصل النقابات الحرفية، وقدم بدلاً من ذلك نظام الأجور الجماعية الذي قلل من شأن العمالة لينزل بها إلى مستوى سلعة قابلة لمناقشة تخفيض أجورها. وبهذه الطريقة، خلقت سوقاً لاستغلال العمال الرخيصين والمحترجين. كما تم تشجيعها

إنَّ التجارة، في جوهرها، شيطانية. فالتجارة سداد ما تم إقراضه، وإنها القرض الذي تم الحصول عليه بهذا الشرط: ادفع لي أكثر مما أعطيك.

- الشاعر الفرنسي شارلو بودليير Charles Baudelaire،
من قصيدة: Mon cœur mis à nu

ليس لدي إجابة مُرضية تماماً على الأسئلة التي تثير هذه التأمُّلات الفكرية المطروحة في هذه المقالة؛ ولكنني أعتقد أن النهج الصحيح للإجابات يمكن رؤيته بوضوح إلى حد ما إذا أخذنا وقتاً كافياً لتحديد مصطلحاتنا. فقبل كل شيء، لقد أصبحت كلمة رأسمالية في هذه الأيام، وخاصة في أمريكا، كلمة كبيرة جداً بشكل يبعث على السخرية وتُسعمل على نطاق واسع لكل أشكال التبادل الاقتصادي التي يمكن تخيلها، مهما كان بدائياً أو مُتخلفاً. ومع ذلك، فأنا أعتبر أننا هنا نستخدمه

الكاتب ديفيد بنتلي هارت David Bentley Hart فيلسوف وكاتب ومترجم ومعلق ثقافي ومن كتبه الأخيرة، العهد الجديد: ترجمة، وكتابه المقبل: That All Shall Be Saved: Heaven, Hell, and Universal Salvation (Yale University, 2019)



أخبرني، هل تبحث حقاً عن ثروات ومكاسب مالية من المعوزين؟ فإذا كان لدى هذا الشخص المعوز الموارد التي تجعلك أكثر ثراءً، فلماذا جاء يشحذ عند بابك؟ لقد جاء باحثاً عن حليف ولكنه وجد عدواً. وجاء باحثاً عن دواء، فإذا به يجد سماً. ورغم أنك ملزم بمعالجة وبلسمة فقر مثل هذا الشخص، إلا أنك بدلاً من ذلك تزيد من حاجته، وتسعى للحصول على حصاد من الصحراء القاحلة.

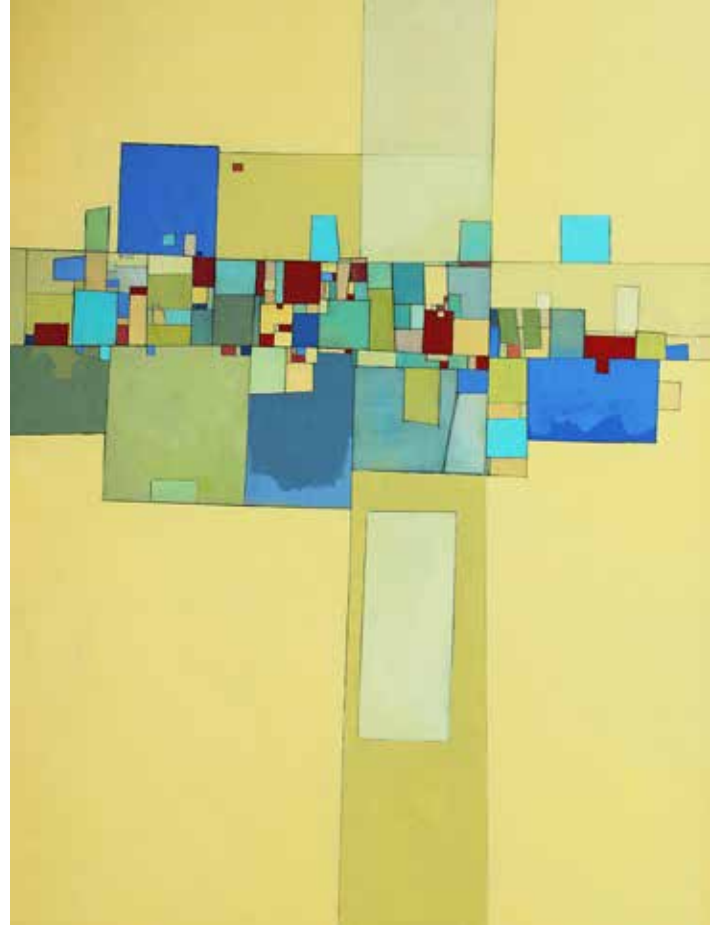
القديس باسيليوس الكبير Basil the Great، من كتابه الدفاعي: Against Those Who Lend at Interest

الشركات التجارية ذات المسؤولية المحدودة، وهي مؤسسة تسمح بلعب اللعبة بطريقة تجريدية حتى لو كانت الشركات المستثمرة قد نجحت في النهاية أم فشلت. (فيمكن للمرء أن يستفيد من تدمير سبل العيش بقدر ما يستفيد من إنشائها). فإن مثل هذه الشركات هي كيان ماكر حقاً: لأنها تتمتع حسب

بشكل متزايد من خلال سياسات الحكومة التي قللت من خيارات المحرومين لتنزل بهم إلى مستوى رواتب العبيد أو الاعتماد الكلي على المساعدات الاجتماعية (مثلما حصل في بريطانيا عندما بدؤوا في منتصف القرن الميلادي الثامن عشر بتسييج أو تطويق نظام الحقول المفتوحة، لتصبح استخدامات الأرض مقتصرة على المالك، ولم تعد أرضاً مشتركة بين جميع الرعاة كما كان في السابق). وعلاوة على ذلك، سبب كل هذا على وجه أكيد تحولاً في السيادة الاقتصادية من فئة التجار - الذين كانوا يشترون سلعا ومنتجات بعقود من الأعمال المستقلة أو شركات فرعية أو أسواق محلية صغيرة ومن ثم يبيعونها إلى جهات أخرى - إلى مستثمرين رأسماليين أخذوا ينتجون ويبيعون سلعهم بنفسهم. وتطور هذا الأمر مع مرور الوقت وأدى إلى خلق نظام مؤسسي لشركات ضخمة التي حوّلت الشركات المساهمة للتجارة المعاصرة إلى محركات لتوليد رأس مال هائل على المستوى الثانوي من المضاربات المالية: أي بمعنى سوق مالي بحث حيث يتم تكوين الثروات لأجل أولئك الذين لا يتعبون ولا يكدحون ولكي يتمتعون بهذه الثروات، ولكنهم بدلاً من ذلك ضليعون في عملية مستمرة من تدوير الاستثمارات وسحب الاستثمارات، كنوع من ألعاب الحظ.

لهذا السبب، قد يقال إن الرأسمالية قد حققت التعبير الأمثل لها في نهوض

أو مصلحة العمال، أو قضايا خيرية قد تؤدي إلى تحويل الأرباح، أو مقدار ممتلكاتك. لذلك، فإن أخلاق مثل هذه الشركات مرهون بانعدام البعد الأخلاقي. ومن الواضح أن نظامها كله هذا لا يكتفي بأن يضع في حسابه التركيز الهائل على رأس المال الخاص واتخاذ القرارات المناسبة بكامل التصرف بشأن تسخير رأس المال هذا دون قيود على قدر الإمكان، بل يعتمد أيضا على هذين العنصرين بشكل إيجابي. ويسمح نظام هذه الشركات باستغلال الموارد المادية والبشرية على نطاق هائل بشكل لم يسبق له مثيل. وسيؤدي هذا حتما إلى خلق ثقافة النزعة الاستهلاكية، لأنه يجب أن يزرع عادة اجتماعية للاستهلاك التجاري بشكل مبالغ فيه يتجاوز مجرد الحاجة الطبيعية أو حتى (ربما يمكن القول) يتجاوز الابتغاء الطبيعي. ولا يكتفي الأمر بإشباع الرغبات الطبيعية؛ إذ تُحتم الثقافة الرأسمالية على نفسها أن تسعى دون توقف إلى اختلاق رغبات جديدة، من خلال استمالة واجتذاب ما يسميه الإنجيل في رسالة يوحنا الأولى: «شهوة العيون». إن أقل ما يمكن للمرء الاعتراف به هو أن الرأسمالية «تنجح في عملها». أي أنها تنتج ثروة هائلة، وتتكيف بمرونة عجيبة حتى مع أكبر التغيرات المفاجئة في الظروف المادية والثقافة المجتمعية. وعندما كانت تتعثر، هنا أو هناك، قامت بتطوير آليات جديدة لمنع ارتكاب الخطأ نفسه مرة أخرى.



القانون باعتراف شرعي كونها تُعتبر في نظر القانون شخص اعتباري - وهو امتياز قانوني كان لا يُمنح سابقًا إلا «للجمعيات التعاونية» المعترف بها على أنها تقدم منافع عامة، مثل الجامعات أو الأديرة - أما الآن، فإن هذه الشركات صار مطلوب منها بموجب القانون أن تتصرف كأحقر شخص يمكن تخيله. ففي كل مكان تقريبًا في العالم الرأسمالي (في أمريكا، على سبيل المثال، منذ اتخاذ قرار عام 1919م في قضية Dodge v. Ford)، فإن مثل هذا النوع من الشركات لا ترمي إلى أي هدف إلا إلى أقصى مكاسب لمساهميها؛ ويحظر عليها السماح لأي اعتبار آخر يعيقها عن سعيها هذا - أي بمعنى اعتبارات صالحة مثل حساب ما يشكل أرباحًا لائقة أو غير لائقة،

لوحة بريشة ديورا
Deborah Batt
بعنوان:
الاضمحلال الريفي

وَبطبيعة الحال، إنها لا تؤدي إلى توزيع عادل للثروات؛ ولا يمكنها ذلك. وليس لدى المجتمع الرأسمالي أي مشكلة مع تواجد طبقة فقيرة بل إنه يتطلب وجودها قطعياً، ليس من أجل قيمتهم كأيدي عاملة احتياطية فحسب، بل أيضاً لأن الرأسمالية تعتمد على نظام اقتصادي ائتماني مستقر ومركز على تقديم الديون والقروض والدفع بعد الاستلام مقابل فوائد، وإن الاقتصاد الائتماني يتطلب قدرًا معينًا من المدينين الدائمين الذين يمكن تحويل فقرهم - من خلال ممارسات الإقراض المفترس ورسوم الفوائد - إلى رأس مال للدائنين.^[1] أما العجز الدائم عن دفع الديون للطبقة العاملة الفقيرة وللطبقة الوسطى من ذوي الدخل المتوسط، فيمثل ينبوع أرباح لا ينضب للمؤسسات التي تعتمد عليها الطبقة الاستثمارية.

يمكن للمرء أن يقرّ أيضاً بأن العوائد المالية الهائلة التي يحصدها القلّة، بين الحين والآخر، يمكن أن تكون لصالح الكثيرين؛ ولكن لا توجد قاعدة ثابتة لهذه الفائدة، وعموماً غالباً ما يكون العكس هو الصحيح. إذ يمكن للرأسمالية أن تصنع إيجابيات وتثري أو تُدَمِّر وتُفَقِّر، كما تقتضي مصلحتها؛ ويمكنها تشجيع التحرر والإنصاف أو التحريض على الطغيان والظلم وعدم المساواة والطبقية.

فلكل هذه الأسباب، يبدو من الحكمة في نظري أننا اخترنا أن نسأل أنفسنا هذا السؤال: ما الشيء الأسمى من الرأسمالية؟ وليس هذا السؤال: ماذا سيأتي بعد الرأسمالية؟ فبقدر ما أستطيع أن أرى، فإنّ ما سيأتي بعد الرأسمالية - أي ما سيُثمِر منها في المسار الطبيعي للأشياء - هو لا شيء ذو شأن. وهذا ليس لأنّي أعتقد بأن انتصار أوضاع سوق الشركات البورجوازية يشكّل «نهاية التاريخ»، أي بمعنى النتيجة المنطقية النهائية لبعض المادية الجدلية المتعدّدة تغييرها. حتى إنني لا أتخيل أن منطق الرأسمالية قد فاز بالمستقبل، ولا أؤمن بأن حكمها سيدوم إلى الأبد. وفي الواقع، أظن أنها نظام لا يدوم على المدى الطويل.

وأستند في قناعاتي هذه بالأحرى على حساب بسيط للغاية وهو عدم التناسب بين الجشع اللانهائي والموارد المحدودة. فإنّ الرأسمالية بطبيعتها هي اختلال شديد في

وَبطبيعة الحال، إنها لا تؤدي إلى توزيع عادل للثروات؛ ولا يمكنها ذلك. وليس لدى المجتمع الرأسمالي أي مشكلة مع تواجد طبقة فقيرة بل إنه يتطلب وجودها قطعياً، ليس من أجل قيمتهم كأيدي عاملة احتياطية فحسب، بل أيضاً لأن الرأسمالية تعتمد على نظام اقتصادي ائتماني مستقر ومركز على تقديم الديون والقروض والدفع بعد الاستلام مقابل فوائد، وإن الاقتصاد الائتماني يتطلب قدرًا معينًا من المدينين الدائمين الذين يمكن تحويل فقرهم - من خلال ممارسات الإقراض المفترس ورسوم الفوائد - إلى رأس مال للدائنين.^[1] أما العجز الدائم عن دفع الديون للطبقة العاملة الفقيرة وللطبقة الوسطى من ذوي الدخل المتوسط، فيمثل ينبوع أرباح لا ينضب للمؤسسات التي تعتمد عليها الطبقة الاستثمارية.

يمكن للمرء أن يقرّ أيضاً بأن العوائد المالية الهائلة التي يحصدها القلّة، بين الحين والآخر، يمكن أن تكون لصالح الكثيرين؛ ولكن لا توجد قاعدة ثابتة لهذه الفائدة، وعموماً غالباً ما يكون العكس هو الصحيح. إذ يمكن للرأسمالية أن تصنع إيجابيات وتثري أو تُدَمِّر وتُفَقِّر، كما تقتضي مصلحتها؛ ويمكنها تشجيع التحرر والإنصاف أو التحريض على الطغيان والظلم وعدم المساواة والطبقية.

[1] الإقراض المفترس (بالإنجليزية: Predatory lending) يعني فرض شروط تعسفية ذات ممارسات احتيالية وجائرة على المُقترض بما يعرضه لأخطار مالية جانبية مقابل الحصول على القرض.

البلاستيكية الدقيقة، ومُغلَّف بكفن سميك من الانبعاثات الكربونية، ومغمور بسيل فائض من المعادن الثقيلة والسموم. وليس لديّ أيّ توقُّع لحصول أيّ دافع معاكس سيعرقل تقدم الرأسمالية نحو هذه النهاية التي لا مفر منها، دوافع صالحة مثل: غريزة البقاء على قيد الحياة، أو عواقبية أخلاقية مُتعلِّلة،^[2] أو حماسة لرعاية الطبيعة، أو توقير تلقائي لبهاء الخليقة.

إنّ الرأسمالية في الأساس هي عملية تأمين فوائد ماديّة مؤقتة من خلال التدمير الدائم لأساسها المادي. فإنها نظام الاستهلاك الكلي، ليس فقط بالمعنى التجاري، ولكن أيضًا بمعنى أن منطق الضروري هو أنقى صيغ مذهب العدميّة، التي معناها رفض جميع المبادئ الدينية والأخلاقية، والاعتقاد بأن الحياة لا معنى لها، وهو التزام بتحويل وفرة المواد الموجودة والملموسة إلى قيمة لا ماديّة صرفة. لذلك، أتوقع أن الرأسمالية لن تستنفد طاقتها الذاتية التي تتميز بها لغاية أن تستنزف العالم نفسه، باستثناء مظهر بعض الوكالات العرضية والمضادة للتيار الرأسمالي. وسيكون هذا في الواقع علامة على انتصار الرأسمالية النهائي وهو: التسليم الكلي لآخر بقايا القوى المؤمنة بالخير المطلق التي تقاوم الباطل إلى أيادي السرمديّة الفيثاغورية غير

[2] عواقبية consequentialism عقيدة تقول إنّ أخلاق أيّ عمل أو تصرف يجب أن يُقيّم من خلال عواقبه فقط.



أيها الأغنياء، إلى أي مدى ستدفعون الأمور بجشعكم المحموم؟ أنتم وحدكم الذين يسكنون على هذه الأرض؟... لقد كانت الأرض في بدايتها مشتركة للجميع، وكان المقصود منها أن تكون للأغنياء والفقراء على حد سواء؛ فبأيّ حقّ تحتكرون الأرض؟ إنّ الطبيعة لا تعرف أيّ شيء عن الأغنياء؛ فكلهم في نظرها فقراء عندما تأتي بهم. فنحن نولد بدون جميع هذه الملابس والذهب والفضة، والطعام والشراب والأغطية؛ وتستقبل الطبيعة أولادها عراة في القبر، ولا يمكن لأحد أن يأخذ فدادين أرضه معه هناك.

القديس أمبروز من ميلانو Ambrose of Milan، من كتابه: On Naboth

لوحة بريشة ديورا بات Deborah Batt. بعنوان: المسكن 10
القوى العقلية ينتشر بشكل وحشي، وهو في النهاية، إذا ما تُرك ليقرر بنفسه، فسيحوّل كل النظام الطبيعي إلى صحراء: مسلوبة، وخربانة، ومُسمّمة، ومُدنّسة. وإنّ الكوكب بأسره غارق سلفا في جو من جزيئات اللدائن

المحسوسة للقيمة التجارية السوقية. وإنَّ أيَّ قوة قادرة على إيقاف هذه العملية الكارثية، لابد أن تأتي من خارج نطاق الرأسمالية.

2: خارج نطاق الرأسمالية

نحن نعلم أن اليهود مُنعوا من التحقيق في المستقبل.... ولكن هذا لا يعني أن المستقبل بالنسبة لليهود تحوّل إلى وقت متجانس وفارغ. إذ كانوا يتقربون البوابة الضيقة في كل ثانية من الوقت لَعَلَّهم يرون المسيح يدخلها.

- قول مقتطف من مقالة بقلم والتر بنيامين Benjamin, بعنوان: Theses on the Concept of History (أي بمعنى: أطروحات حول مفهوم التاريخ).

بصراحة، ليس من الصعب للمرء أن يتخيّل الغاية النهائية لماهية الـ «خارج نطاق». فإنها الشيء نفسه تقريبا الذي تتوق إليه جميع التوجهات الرشيدة المتعلّقة بشتى أنواعها، والمشابهة تقريبا للعالم الروحاني السامي،

مثل: سنة اليوبيل، أو لاسلطوية هنيئة،^[3] أو شيوعية خالصة، أو واقعية إنسانية وديوية حيث لا يمكن للجشع أن يجد شيئا يتشبث به لأنه لا أحد يملك شيئا، ولا يوجد أيضا أي شيء مُفْرَح أو مفيد غير متاح للجميع، وتجري مقاسمة كل الأشياء في مجتمع قوامه المحبة الرشيدة. حتى أن المؤمن بسذاجة النيوليبرالية الهاذية،^[4] الذي يؤمن باقتصاد الموارد الجانبية هو في الحقيقة شيوعي لاسلطوي بأقصى نواياه المعنوية، حتى لو لم يعلم هو بنفسه بذلك؛ إذ ينام في مكان ما في أعماق كيانه شخصية بيتر كروبوتكين،^[5] ويحلم بعالم مُنظَّف من الجشع والعنف. ففي قلب كل إنسان، يكمن اشتياق إلى

[3] مذهب اللاسلطوية Anarchism هي فلسفة سياسية تؤمن بإلغاء النظام الحكومي وتدعو إلى تنظيم مجتمعات من دون دولة مبنية على أساس جمعيات تطوعية تعاونية وغير هرمية دون اللجوء إلى القوة أو الإكراه، وذلك لأنها ترى بأن جميع أشكال السُلطة الحكومية تتسم بالأخلاقية وغير مرغوب فيها ولا ضرورة لها البتة، وتعارض اللاسلطوية السُلطة في تسيير العلاقات الإنسانية. ونشطت هذه الحركة في عدد غير قليل من الدول.

[4] النيوليبرالية Neoliberalism وهي أيديولوجية لتفضيل الأسواق الحرة وانعدام التنظيم الرأسمالي، وهي تختلف عن الليبرالية الجديدة أو الليبرالية الاجتماعية New Liberalism.

[5] كان بيتر كروبوتكين Peter Kropotkin (ولادة 9 ديسمبر/كانون الأول 1842 - وفاة 8 فبراير/ شباط 1921م) ناشطا روسيا وثوريا وعالما وجغرافيا، الذي ناصر الشيوعية اللاسلطوية Anarcho-communism.

الفردوس الأرضي، إلى جنة عدن كنهاية القصة بدلاً من بدايتها غير القابلة للاسترداد.

إلا أن جنة عدن هي ليست القضية الجدلية للتاريخ، أي بمعنى هي ليست الثمرة النهائية لعقلانية خفية وغامضة وسريّة تنجح من تلقاء نفسها في حلّ التناقضات الظاهرة للأمور المحدودة. فإنها أسمى من ذلك بكل ما تعنيه الكلمة. فهي لا تشغل زمنا معيناً إلا لكونها دينونة تدين زماننا الحاضر ولا تأتي إلا في الآخرة، وهي بمثابة تذكير مستمر لنا بالنظام الصالح للخليقة الذي نغدر به باستمرار. ونحن نعلم بأن الجنة هي بالدرجة الأولى إدانة للخطايا، وهي ليست دائماً رجاء إلا بالدرجة الثانية. أما كيفية ترجمة تلك الدينونة كقوة ملازمة للتاريخ والقوة الوحيدة القادرة على تهشيم سيادة رأس المال قبل أن يبقى أي شيء منه لإنقاذه، فهي السؤال الكبير لكل الفكر السياسي لأي مادة حقيقية في العالم الحديث.

وعلاوة على ذلك، إنها مسألة لا يمكن للمسيحيين تحاشيها. والحقّ يقال إنّ التاريخ الاجتماعي والمؤسّساتي للكنيسة يعطي شيئاً من الأمل في أن الكثير من المسيحيين كانوا على دراية تامة بهذه المسألة. ولكنهم سواء كانوا يهتمون بالاعتراف بما يتضمنه إيمانهم المسيحي بشكل كامل أو لا، فإنّ المسيحيين لا يزالون مُلزمين بأن يؤكّدوا على أن هذه الدينونة الأخيرة قد ظهرت بالفعل في التاريخ، وبصورة مادية واجتماعية وسياسية معينة.

ويجعلك إنجيل يوحنا تشعر بالضيّق بشكل خاص وبدرجة كبيرة فيما يتعلق بتدخّل القضاء الإلهي الوشيك، الذي لا مفر منه، على كل بنية أئيمة تنتمي إلى نظام العالم الدنيوي. فهناك تكاد تكون الدينونة حاضرة تماماً. إذ مرّ المسيح هناك عبر التاريخ، كالنور الذي يكشف حقيقة كل الأمور حسب ما هي عليه؛ أما الذي سيرينا حقيقة أنفسنا فهو متوقف على مدى استجابتنا له - أي بمعنى قدرتنا أو عدم قدرتنا على إدراك ذلك النور. فإنّ رؤيته معناها رؤية الله الأب. وعليه، فإنّ رفض المرء لله معناه إعلان الشيطان كآب بديل عنه. فقلوبنا مكشوفة، وأصبحت أعمق القرارات التي اتخذناها في كياننا السري مكشوفة، وأصبحنا مكشوفين كما نحن عليه - وعلى حقيقة ما جعلنا أنفسنا على شاكلته. في الحقيقة، إنّ ما يخبرنا بذات الشيء هو ليس إنجيل يوحنا فقط. إذ تخبرنا أيضاً بذات الشيء الصورة العظيمة الرمزية عن يوم الدينونة للبشير متى، إصحاح 25، على سبيل المثال. وفي إنجيل يوحنا، فإنّ إخفاق المرء في الاعتراف بالمسيح كونه الوجه الحقيقي للأب، الآتي من الأعلى، هو بحد ذاته إدانة للشخص، هنا والآن. أما في إنجيل متى، فإنّ إخفاق المرء في التعرّف على وجه المسيح - وبالتالي وجه الله - لدى المدلولين والمضطهدين، والمتألمين والمحرومين من حقوقهم الإنسانية، إنما هو كشف لحقيقة أن الشخص قد اختار الجحيم كموطن له.

فسوف يجري اختبار جميع أعمالنا وأفعالنا بالنار، كما يقول بولس الرسول؛ وأولئك الذين تفشل أعمالهم في الاختبار لا يمكنهم الخلاص إلا «كَمَا بِنَارٍ». كما أن العهد الجديد لا يترك لنا أي مجال للشك فيما يتعلق بنوعية الممارسات السياسية والاجتماعية الوحيدة التي يمكنها اجتياز ذلك الاختبار دون أن تُحرق بالكامل.

ومهما تكن الرأسمالية، فإنها أولاً وقبل كل شيء نظام لإنتاج أكبر قدر ممكن من الثروات الخاصة من خلال هدر أكبر قدر ممكن من خيرات الخليقة التي تنتمي إلى الميراث المشترك للبشرية. ولكن المسيح لم يدين الانغماس غير السليم بالثروات فحسب، بل أيضا الحصول على مثل هذه الثروات والاحتفاظ بها. والمثال الأكثر وضوحاً على ذلك، الموجود في جميع الأناجيل الإزائية الثلاثة، هو قصة الشاب الغني، وبيان المسيح عن الجمل وثقب الإبرة.

وللتأكد من هذا الموضوع، يمكن للمرء أن يبحث في أي مكان في الأناجيل. فالمسيح يعني بوضوح ما يقوله عندما ذكر اقتباس للنبي إشعيا: فقد مسح روح الله لي بشر الفقراء بالأخبار السارة (لوقا 4: 18). أما الأخبار التي يحملها ليسوري الحال، فكانت جادة للغاية: «وَلَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ، لِأَنَّكُمْ قَدْ نَلْتُمْ عَزَاءَكُمْ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الشَّبَاعَى، لِأَنَّكُمْ سَتَجُوعُونَ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الضَّاحِكُونَ الْآنَ لِأَنَّكُمْ سَتَحْزَنُونَ وَتَبْكُونَ.» (لوقا 6: 24-

25). وكما يقول إبراهيم للغني في الجحيم: «أذْكَرُ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ... وَالْآنَ... أَنْتَ تَتَعَدَّبُ» (لوقا 16: 25). وإن المسيح لا يكتفي بمطالبتنا بأن نعطي مجاناً لجميع الذين يطلبون منا (متى 5: 42)، وأن نعطي بسخاء بحيث لا تعرف اليد اليسرى ما تتصدق به اليد اليمنى فحسب (متى 6: 3)؛ وإنما يحرم المسيح أيضا وبكل وضوح تخزين الثروة الدنيوية - ليس مجرد تخزينها بشكل أناني جدا - غير أنه يسمح من ناحية أخرى بتكديس كنوز السماء فقط (متى 6: 19-20). ويقول المسيح لكل من يريد أن يتبعه ببيع كل ممتلكاته والتصدق بثمنه (لوقا 12: 33)، ويذكر صراحة قائلاً: «فَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَا يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ، لَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلْمِيزًا» (لوقا 14: 33). وكما تقول السيدة مريم العذراء القديسة، إن الرب «أَشْبَعَ الْجِيَاعَ خَيْرَاتٍ وَصَرَفَ الْأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ.» (لوقا 1: 53) وهذا جزء من الوعد الخلاصي للإنجيل. وطبعاً، إن أكثر ما يشد الانتباه ما يقوله القديس يعقوب الرسول:

أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ، ابْكُوا ونوحوا على المصائب التي ستنزّل بكم. أموالكم فسدت وثيابكم أكلها العث. ذهبكم وفضتكم يعلوهم صداً يشهد عليكم ويأكل أجسادكم كالنار. تخزنون للأيام الأخيرة، والأجور المستحقة للعمال الذين حصدوا حقولكم التي سلبتموها يرتفع صياحها، وضراخ الحصادين

وَصَلَتْ إِلَى مَسَامِعِ رَبِّ الْجُنُودِ. عِشْتُمْ
عَلَى الْأَرْضِ فِي التَّنَعُّمِ وَالتَّرَفِ وَأَشْبَعْتُمْ
قُلُوبَكُمْ كَعَجَلِ مُسَمِّنٍ لِيَوْمِ الذَّبْحِ.
حَكَمْتُمْ عَلَى الْبَرِيِّ وَقَتَلْتُمُوهُ وَهُوَ لَا
يُقَاوِمُكُمْ. (يعقوب 5: 1-6)

كان المسيحيون الأوائل ببساطة شيوعيين - لو
جاز التعبير - (كما يخبرنا سفر أعمال الرسل
عن الكنيسة في أورشليم، وكما تكشف رسائل
بولس من حين لآخر)، ولم يكونوا كذلك
كصدفة تاريخية بل كأمر حتمي للإيمان. وفي
الواقع، عندما قمتُ بإعداد ترجمتي الأخيرة
للعهد الجديد، صادفتُ صعوبة عدة مرات في
عدم ترجمة كلمة كوينونيا koinonia التي
تعني مشاركة (والمصطلحات ذات الصلة) إلى
كلمة مثل: شيوعية. أما الشيء الذي منعتني
من استعمال كلمة: شيوعية، فلم يكن بسبب
وجود لدي أدنى شك فيما يتعلق بملاءمة
هذه الكلمة «الشيوعية»، ولكن الشيء
الذي منعتني كان أولاً لأنني لم أرغب في ربط
ممارسات المسيحيين الأوائل بطريق الخطأ بـ
«شيوعي» الدولة المركزية للقرن العشرين،
وثانياً لأن كلمة الشيوعية ليست وافية لتمثيل
جميع الأبعاد - الأخلاقية والروحية والمادية
- للمصطلح اليوناني كوينونيا كما استخدمه
مسيحيو القرن الميلادي الأول بحسب الأدلة
القاطعة. فلم يكن لديهم أدنى شك في أن
القضية المركزية للإنجيل الذي بشروا به
كانت الإصرار على أن الثروة الخاصة وحتى
الملكية الخاصة هي أمور غريبة على الحياة

في جسد المسيح، [أي في مجتمع الكنيسة].
وبقي أعظم اللاهوتيين في الكنيسة على
وعي بمعنى المشاركة هذا، حتى في عهد آباء
الكنيسة. وبالطبع، ظلَّت التحديّات الأصليّة
للكنيسة الأولى على مرّ التاريخ المسيحي
باقية حيّة في بعض المجتمعات الرهبانية
المعينة، وكانت تندلع في بعض الأحيان في
حركات «أصولية» محلية، من أمثال: حركة
الفرنسيسكان الروحيين، وحركة غير المالكيين
الروسية، وحركة العمال الكاثوليك، وحركة
برودرهوف، وإلى آخره.

وبطبيعة الحال، فإنّ المجتمعات
المسيحية الطوعية الصغيرة الملتزمة بشكلٍ ما
من أشكال حياة الجماعة المسيحية هي كلها
جيدة جداً. ولعلّها، من دون أي شك، الطريقة
الوحيدة الممكنة في زماننا الحاضر التي يمكن
بها تطبيق الحياة المشتركة الحقيقية لكوينونيا
الكنيسة الأولى. ولكنها يمكن أن تكون أيضاً
صرفاً للانتباه وتلهينا عن قضية أخرى، لاسيّما
إذا عجزت عن التمييز بين عزل اعتمادها
على النظام السياسي الأكبر في الوقت الحاضر
من جهة وبين الاكتفاء في تحقيق كيان سياسي
مسيحي مثالي من جهة أخرى. عندئذ،
فإنّ أيّ نقد نبوي قد يجلبونه من حياتهم
المشتركة للتأثير في مجتمعهم لكي يعيش حياة
أخوية حقيقية ومشاركة تامة، سيصبح مثلاً
يُفتدى به وسيُتَمَن أيضاً، رغم أن هذه الحياة
المتشاركة ذات التكريس الكامل قد تحوّلت
في نظر معظم المؤمنين إلى مجرد دعوة إلهية

خاصة - وربما يشعرون بأنه لا ضير في حضور كهنوتي مقدس داخل الكنيسة الأكبر - ولكن الحياة المشتركة تبقى في نظرهم غير ممكنة إلا لعدد قليل من الناس، وليست نموذجاً للسياسة العملية.

هنا يكمن الخطر الأعظم، لأنه في نظر الناس، ينبغي عدم وضع خيار الكوينونيا الكاملة لجسد المسيح إلى جانب خيارات أخرى مقبولة قبولا متساويا. إلا أن الكوينونيا ليس فيها روح خاصة أو انتقاء اختياري وفقاً لما يحبّه المرء. فإنها دعوة لا إلى الانسحاب، بل إلى الثورة. فإنها تدخل التاريخ دخولا حقيقيا لكونها إعلانا ليوم الرب: ذلك اليوم العظيم، الذي حصل سلفا عندما جاء المسيح إلى هذه الأرض؛ ولا يمكن فصلها عن الإيمان الاستثنائي بأن يسوع المسيح هو ربّ فوق كل شيء، وبأن نور الملكوت قد اقتحم فعلا هذا العالم، بصيغة الحياة التي سلّمها المسيح كميراث لأتباعه، بحيث لم يكن هذا الاقتحام كشيء

يظهر على مدار تطور تاريخي طويل، ولكن كعملية اجتياح. وقد تم توريث الحكم سلفا. فقد قيلت الكلمة الأخيرة سلفا. ففي المسيح، فإنّ الدينونة قد جاءت سلفا. لذلك، فإنّ المسيحيين هم أولئك الذين لم يعودوا يتمتعون بمطلق الحرية لكي يتصوّروا أو يرغبوا في أي نظام اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي بخلاف نظام كوينونيا الكنيسة الأولى، فليس هناك أيّ مبادئ أخلاقية

ألا يُبسمي الشخص الذي يَسلب ملابس غيره لصا؟ وأولئك الذين لا يكسون العراة عندما يكون لديهم القدرة على القيام بذلك، ألا ينبغي أن يطلق عليهم هذه التسمية نفسها؟ فإنّ الخبز الذي تستقيه لنفسك هو في الحقيقة للجائعين، والملابس التي تستمر في الاحتفاظ بها هي للعريانيين، والأحذية التي تتعفن دون الاستفادة منها هي للذين لا يملكونها، والفضة التي تحتفظ بها في الأرض هي للمحتاجين.

القديس باسيلوس الكبير Basil the Great، من كتابه: I Will Tear Down My Barns

مشتركة غير نظام المحبة المسيحية على غرار مذهب اللاسلطوية.
بطبيعة الحال، يجب مواصلة السعي إلى إيجاد الأهمية السياسية لهذه الحقيقة، على الأقل فيما يتعلق بالتحرك والعمل وبذل الجهود في وقتنا الحاضر. وكما قلتُ في البداية، ليس لديّ إجابة جاهزة لتسليمها.

لوحة بريشة

ديبورا بات

Deborah Batt

بعنوان:

تطوير إضافي

ولكن، كما قلت أيضاً، يمكننا على الأقل تحديد شروطنا. ويمكننا بالتأكيد تحديد الحقائق السياسية والاجتماعية التي يجب أن تكون بغضه للضمير المسيحي، مثل: أخلاقيات ثقافية تسمح بل تشجع حياة لا تتوقف فيها رذيلة الاكتساب والتحصيل والابتغاء كنوع من الأخلاق الحسنة؛ أو نظام قانوني خاضع لأوامر الشركات المهمة بتحقيق أقصى قدر من الأرباح، بغض النظر عن الأساليب المستخدمة أو التبعات الناتجة عنها؛ أو سياسات الوحشية أو الانقسامات أو الهوية الوطنية أو أي من الطرق التي لا تعد ولا تحصى التي نبتكرها لترسيم الحدود القانونية لما هو «ملكننا» وليس «ملكهم».

قبل كل شيء، يجب أن نسعى إلى تحقيق رؤية للصالح العام (بأي وسيلة خيرية نقدر عليها) بحيث تفترض أن أساس القانون والعدالة لا يكون الحقّ الحصين في الملكية الخاصة، بل من المفروض أن يكون الحقيقة الأكثر أصالة التي يعلمها ناس من أمثال القديس باسيليوس الكبير Basil the Great، والقديس غريغوريوس النيصي Gregory of Nyssa، والقديس أمبروز من ميلانو Ambrose of Milan، والقديس يوحنا

الذهبي الفم John Chrysostom، وهي أن: خيرات الخليفة مُلك للجميع بالتساوي، وأن الثروة الهائلة للقطاع الخاص هي سرقة - خبز مسروق من الجائعين، وملابس مسروقة من العريانين، ومال مسروق من المحرومين. ولكن الكيفية التي نسعى بها إلى سياسة مسيحية حقيقية في هذه الساعة - على الأقل، على افتراض أننا نأمل بالفعل في تغيير شكل المجتمع - هي بأسرها سؤال صعب جداً، وربما لن نكون قادرين على معالجته إلا إذا تعلمنا حقاً لأول مرة أن نحرر أنفسنا من فكرة الافتراضات المادية التي علمتنا الرأسمالية أن نؤويها على مدى أجيال عديدة.

رغم ذلك، وفي ضوء الدينونة التي دخلت التاريخ البشري في المسيح، فإنّ المسيحي لا يُسمح له بأن يشترك ويضع آماله أساساً في مجتمع غير المجتمع الشيعي والاسلطوي الحقيقيين، وبطريقة متميزة جداً التي كانت تسير بهما الكنيسة الأولى في آن واحد. وحتى الآن، وفي وقت الانتظار، فإنّ كل من لا يتصوّر حقاً مثل هذا المجتمع، ولا يرغب في أن يأتي إلى حيز الوجود، ليس لديه فكر المسيح. ✍



الحياة المشتركة

المشاركة ثمرة المحبة

هاينريش آرنولد Heinrich Arnold

الموت، لأنها تعزل القلب عن الله وعن أختنا الإنسان. والحلّ الذي وجدناه لمجابهة هذه المشكلة، هو في تقاسمنا لكل شيء، بطريقة تجعل من المستحيل الوقوع في خطيئة الثروة الجماعية. وبإبنا مفتوح لكل مَنْ ينشد الله والحقّ. وبفضل الإشراف المالي للكنيسة، يصبح كل شيء متاحاً لأي شخص محتاج.

علينا التخلّي عن الملكية **يجب** الخاصة، وعن كل أشكال التعطّش إلى جمع الماديات لأنفسنا. فاستمتع الإنسان بتجميع الثروة لنفسه، أو لأسرته، أو حتى لجماعته التي تعيش حياة مسيحية مشتركة، يؤدي إلى الموت الروحي. إذ إنّ الثروة تسبب هذا



يتشارك بعضنا مع بعض مشاركة تامة في حياة أخوية كاملة؟» والجواب على ذلك، هو أن هذه الوحدة التامة ينبغي أن تأتينا كهبّة من روح يسوع المسيح. ويجب علينا أولاً تفريغ أنفسنا تماما من أفكارنا البشرية، ومن مُثلنا العليا الخاصة بنا، ومن كياناتنا الذاتية؛ ويجب أن نكون مستعدين كلياً لتكريس نفوسنا ليسوع المسيح وروحه القدس.

من رسالة: لا مثيل للتجربة الفعلية التي يعيشها المرء في الحياة المسيحية المشتركة، وما يحسّ به عندما يشهد بنفسه حركة روح

إن طريق يسوع المسيح يعني التخلي الكامل عن كل الممتلكات! (مرقس 10: 21) وقد اخترنا نحن هذا الطريق، ويجب أن يعرف أولادنا بذلك، وهم في سن مبكرة. وينبغي أن يعرفوا بأن أموالنا تخصّ الله، ولا تخصنا نحن شخصياً. ويقول يسوع إننا ينبغي أن لا نجمع لأنفسنا كنوزاً على الأرض، بل أن نسعى لجمع كنوز في السماء. (متى 6: 19-20)

من رسالة: أنت تسأل: «كيف يمكننا، كأشخاص مستقلين وعائلات مستقلة، أن

الله في مجامع الحياة المشتركة وبين أفرادها، ولا مثيل للمشاعر التي تغمره عندما يتنعم بوحدة المؤمنين في الكنيسة. ولذلك، أكتب هذا مُدركاً بأن الكلمات لا يمكن أن تعبر على روح محبة الله، الذي يتحرك بين أولئك الذين استسلموا له في كل شيء.

وردًا على سؤالك حول الأساس الكتابي لحياتنا المشتركة، فهناك آية في إنجيل لوقا 14: 33، حيث يقول المسيح بوضوح، لا يقدر أحد أن يكون تلميذه ما لم يتخلَّ عن كل شيء له.

وهناك أيضا آية في إنجيل يوحنا 16: 13، تقول: عندما يأتي روح الحق، فإنه يرشد الناس إلى الحق كله. وهذا ما حصل في عيد الخمسين (العنصرة) بعد حلول الروح القدس على جماعة المؤمنين، (أعمال 4: 32-34) عندما أصبح التلاميذ قلبا واحدا وروحا واحدة، وتشاركوا في كل ممتلكاتهم وأملاكهم. (أعمال 2: 44) وانظر أيضا الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، إصحاح 12، وخاصة الآيات 25-26: «لِيَلَّا يَقَعَ فِي الْجَسَدِ شِقَاقٌ، بَلْ لِيَتَهَمَّ الأَعْضَاءُ كُلُّهَا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ. فَإِذَا تَأَلَّمَ عَضُوٌّ تَأَلَّمَتْ مَعَهُ جَمِيعُ الأَعْضَاءِ، وَإِذَا أُكْرِمَ عَضُوٌّ فَرِحَتْ مَعَهُ سَائِرُ الأَعْضَاءِ.» وإننا نجد صعوبة في اتخاذ هذا الإصحاح

بقيمته ومحتواه الكامل في حياة كنيسة غير متشاركة. وينطبق الشيء نفسه في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس (2 كورنثوس 8: 13-15): «لا أعني أن تكونوا في ضيقٍ ويكونَ غَيْرُكُمْ في راحةٍ، بَلْ أعني أن تكونَ بَيْنَكُمْ مُساواةً، فَيَسُدُّ رَخَاؤُكُمْ ما يُعَوِّزُهُمُ اليَوْمَ، حَتَّى يَسُدَّ رَخَاؤُهُم ما يُعَوِّزُكُمْ غَدًا، فَتَتِمَّ المُساواةُ. فَالكِتَابُ يَقُولُ: «الَّذِي جَمَعَ كَثِيرًا ما فَضَلَ عَنْهُ شيءٌ، وَالَّذِي جَمَعَ قَلِيلًا ما نَقَصَهُ شيءٌ.»»

يُعتبر المال - وحب المال - خطرا جسيما على حياة المؤمن بالله، سواء كانت حياته ضمن الحياة المشتركة أو خارجها.

فاضت المحبة في عيد الخمسين من قلوب أولئك الذين تأثروا بالروح القدس: إذ كان المؤمنون ممتلئين بمحبة الله ومحبة بعضهم لبعض. وعندما حدث هذا، لا أعتقد أنك ستنكر حقيقة ما مُدَوَّن في الإنجيل: «وكانت النعمة وافرةً عليهم جميعاً.» (أعمال 4: 33) إذ إن الحياة المتشاركة بالممتلكات للكنيسة الرسولية الأولى، كانت نتيجة لهذه المحبة والنعمة. أما شركة المحبة هذه، فهي بعيدة كل البعد عن الديانة المسيحية في عصرنا الحاضر. فنرى الناس الآن يشهدون في جرائد كنائسهم مثلا عما يختبرونه وهم يشعرون بالامتنان، أنهم منذ أن بدؤوا بدفع العشور إلى كنيستهم، جعل

الله مصالح أعمالهم تزدهر بطريقة رائعة.^[4]

هذا ولو قلنا بأن الأساس الرئيس لإيماننا هو المشاركة في الأموال والممتلكات، فسوف يكون ذلك تشويها للحقائق. فإن المشاركة هي نتيجة لإيماننا، وليس أساسه. وهي ثمرة الاستسلام الكامل للمسيح ولمحبتته. فإن كل شيء وهبنا الله إياه - ممتلكاتنا ومواهبنا وحياتنا - نعيده إليه، ليتحكّم به هو وحده مع روحه القدس.

وفي الإجابة على سؤالك فيما إذا كانت المشاركة بحد ذاتها ستساعد على ربح النفوس للمسيح، فإننا نقول لا. فإن مجرد مشاركة الممتلكات لا ترشد الناس بالضرورة

[4] في إشارة إلى ما يُعرّف باسم إنجيل أو لاهوت الرخاء والصحة والغنى Prosperity Gospel، وهو معتقد دخيل على المسيحية، ولكنه ليس جديداً. فقد فضحته الكنيسة الرسولية الأولى سلفاً، وهو يعلم الناس على السعي وراء الثروات وحياء الرخاء والرفاهية، بدلا من طريق المسيح الذي يدعو إلى التخلي عن الأملاك الشخصية، والمشاركة التامة مع أفراد الكنيسة، والتفاني في خدمة ومحبة أخينا الإنسان. ولو كان مثل هذا السعي مطلباً للمسيحيين، لكان يسوع قد سعى وراءه، وعلم تلاميذه ذلك. وقد حذر القديس بولس الرسول من مثل هذه التعاليم قائلا: «يكفينا القوت والكسوة. أما الذين يطمبون الغنى، فيقعون في التجربة والفخ وفي كثير من الشهوات العمياء المضرة، التي تُغرِق الناس في الدمار والهلاك. فحب المال أصل كل شر، وبعض الناس استسلموا إليه، فضلوا عن الإيمان، وأصابوا أنفسهم بأوجاع كثيرة. أما أنت يا رجل، الله، فتجنب هذا كله. واطلب البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة.» (1 تيموثاوس 6: 8-11)

إلى المسيح. ولكنها عندما تكون نتيجة فيضان المحبة، يمكن أن ترشدهم إليه. فقد جاء العديد من أفراد كنيستنا من خلفيات غير مسيحية. غير أن ما جذبهم، كان حياة الأخوة والمحبة المتجسدة على أرض الواقع. لقد سئنا من الكلام، فهو رخيص ويمكن سماعه في أي مكان تقريبا، لأنه بطبيعة الحال، من سيقول بأنه ضد الأخوة والمحبة؟ إننا لم نكن نبحت عن كلام، بل عن أفعال؛ ولم نكن نبحت عن حجارة، بل عن خبز. (متى 7: 8-9) وهذا ما قدّمه المسيح إلينا - حياة جديدة حيث المحبة تسير كل شيء، بالأفعال وبالحق.

أنت تسأل عن الفرص المتاحة لكل من يهتدي حديثا، لنشر الإنجيل الحقيقي، وليس «إنجيل الحياة المشتركة». ولكن ماذا تعني بالإنجيل أو الأنباء السارة؟ فماذا تعني «الأنباء السارة» لو لم تكن تعني أن هناك طريقا آخر، غير طريق الموت واليأس الذي يحكم عالمنا الحالي؟ فما عساها أن تكون، لو لم تكن أنباء عن إمكانية أن يعيش الناس كإخوة في سلام وثقة ومحبة كاملة بعضهم مع بعض، وكأولاد لآب واحد؟ فليس الإنجيل مجرد كلام؛ فهو يمثل الأفعال الصالحة والحق، ويمثل كامل طريق الحياة الذي جاءنا به المسيح. وهو تعبير عن تجربة حية. فإن التحدي الذي يواجهنا، ليس الانضمام إلى كنيستنا، بل أن نحيا حياة الأخوة. فلا نرغب في إضافة أي شيء إلى الإنجيل، ولكننا نعتقد اعتقاداً راسخاً، بأنه لا يجوز إهمال أي شيء



البلاد بأشكال عديدة مثل: العلاقات غير الشريفة، والكراهية، والإدمان على الكحول، والفقير، وجنوح الأحداث، والأمراض العقلية، وجرائم العنف، وأخيرا الحروب. فهذه هي ثمار حب المال، (1 يوحنا 2: 15-17) وثمار المجتمع غير المسيحي، وثمار النظام العالمي الراهن. فهذا هو العالم الذي دعانا منه المسيح ولا يزال يدعونا. فهو يدعونا للخروج منه، لكي يجمعنا لبناء مدينة الله، حيث يحكم الروح القدس وحده - لبناء مدينة على جبل،^[5] التي لا يمكن أن تكون مخفية، بل تكون نورا للعالم.

[5] في إشارة لما قاله يسوع المسيح: «أنتم نورُ العالم. لا تخفى مدينةً على جبلٍ.» (متى 5: 14)

منه، ويجب علينا مواجهة جميع مطالبه. وأنت تسأل: «لماذا ينبغي أن تعزل حياتنا المشتركة نفسها لتكون في العالم، ولكنها في الوقت نفسه ليست من العالم؟» وجوابي على سؤالك هو أننا نسكن بصورة منفصلة، لأننا نهدف إلى فصل أنفسنا عن الجذور الشريرة لردائل الحرص على المنفعة الذاتية والجشع والظلم - وعن كل ما هو خالٍ من الحنان والرحمة في النظام العالمي الراهن. وعموما، لا تختلف مجتمعات البلاد اليوم، عما كانت عليه في زمن يسوع. فلا يزال الناس أنانيين ومتباهين وحريصين على منافعهم الخاصة، وعلى نفوذهم ومواقفهم الذاتية. وتخيم ثمار هذه الشرور على مجتمعات

(يوحنا 17: 21) ولذا ينبغي أن تكون الكنيسة منظورة في العالم. إذ إنَّ نور الجماعة المتَّحدة للمؤمنين، يجب أن يضيء ظلمة العالم، لكي ينيه تمجيدا لله.

وأنت تسأل: «لو أنكرنا أنفسنا بما يكفي، لكي نسير في طريق المسيح، ألا يمكننا حينئذ أن نعيش حياة معقولة وسط إخواننا البشر، وخارج نطاق منظمة من الإخوة؟» إنَّ الذي يجب عليه الإجابة على هذا السؤال هو أنت بنفسك. فنحن هنا، لأننا وجدنا أن ما تسميه «الحياة المعقولة» لم تكن كافية - وأن المسيح طلب مِنَّا أكثر من ذلك. فهو يريد الشخص كله. ثم إننا لسنا «منظمة من الإخوة» بل مجرد جماعة من الناس الذين يسعون إلى أن يحيوا حياة أقرب إلى الله. ونريد أن نأخذ وصايا المسيح في الموعظة على الجبل كما هي بحذافيرها، وأن نصحح حياتنا وفقا لها، وأن ندعها تحكم فيما إذا كانت حياتنا قويمه أو لم تكن. ولا يمكننا العمل بهذه الوصايا بالكامل، إلا عن طريق تسليم حياتنا لإرادته، متيقنين بأنه سوف يرشدنا إلى الحق.

من رسالة: إنَّ حياتنا المشتركة هي صراع روحي مستمر: فيجب علينا الجهاد روحيًا باستمرار، لكي نتخلَّص من كل ما يفصلنا عن الله وعن إخواننا وأخواتنا. ويمكن لعملية التحرُّر هذه - أي بمعنى إماتة الشهوات في نفوسنا - أن تكون من أكثر التجارب المؤلمة. فنحن نؤمن بأن ما هو مطلوب مِنَّا، هو مئة في المئة؛ فيجب على الكبرياء بأسرها،



يخبرنا الإنجيل بأنه يمكننا التعرف على أي شجرة - أو شخص أو جماعة - من ثمارها، لأن الشجرة الطيبة لا يمكن أن تثمر ثمارا شريرة، والشجرة الشريرة لا يمكن أن تثمر ثمارا طيبة. (متى 7: 16-18) أما ثمار الحياة القائمة على الإيمان بالمسيح، فلا تقتصر على الوعظ أو الكلام، لأن المهم هو أفعالنا. فقد قال المسيح: إنَّ جميع الناس يمكنهم أن يعرفوا أننا تلاميذه، وذلك من خلال محبة بعضنا لبعض - وليس من خلال كلامنا عن محبة بعضنا لبعض. (يوحنا 13: 35) (متى 7: 21) وكانت آخر صلاة ليسوع المسيح من أجل وحدة تلاميذه: «اجْعَلْهُمْ كُلَّهُمْ واحداً ليكونوا واحداً فينا، أيُّها الأبُّ مثلما أنت فيَّ وأنا فيك، فيؤمن العالمُ أنَّك أرسلتني.»

أن نكون دائما على وعي
يجب بمخاطر الماديّات - التي هي
سطوة المال أو سطوة أي شيء
مادي آخر على قلوبنا وأرواحنا. قال يسوع
المسيح: «لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدَمَ سَيِّدَيْنِ، لِأَنَّهُ
إِمَّا أَنْ يُبَغِضَ أَحَدَهُمَا وَيُحِبَّ الْآخَرَ، وَإِمَّا أَنْ
يَتَّبِعَ أَحَدَهُمَا وَيَبْذُلَ الْآخَرَ. فَأَنْتُمْ لَا تَقْدِرُونَ
أَنْ تَخْدُمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ.» (متى 6: 24) غير أن
الأشياء الماديّة في حد ذاتها هي ليست العدو؛
فهي جزء من الحياة.

ولكن ينبغي استعمالها
لمهام الكنيسة. وفي نهاية
المطاف، إنها مسألة تتوقف
على مواقفنا وسلوكنا. وإن
فساد روح الإنسان يفسح
المجال لكل ما هو ماديّ
لكي يفسد الحياة، ولكن
إذا كانت علاقة الشخص مع يسوع والكنيسة
حيّة، أصبح في مقدوره أن يستعمل الأشياء
المادية دون أن تتحكم به.

من رسالة: نحن لسنا مهتمين بكسب أي
إنسان بكلمات ناعمة. إذ إنّ طريق حياتنا
المشتركة يتطلب الكثير من التضحيات. فلدينا
اليوم منزل وبيت عائلي وعمل وخبز يومي.
ولكن لا نعرف ماذا سيحدث غدا، مثلما
يُظهِرُ لنا تاريخ حركة الإصلاح المسيحية
أنابابتسم وطائفة كويكرز وتاريخ العديد
من الحركات المسيحية الجادة الأخرى، التي
لاقت الاضطهاد والتهجير والإعدامات.

والإرادة الذاتية كلها أن ترحلا عنّا، وأن
يرحل عنّا أيضا الإطار الكامل لأسلوب الحياة
والفكر البشري، الذي حاولنا سابقا الحصول
على الأمان بواسطته. ولا يحدث هذا التحرُّر
بسرعة البرق، وإنما بالتدريج. ونحن ندرك من
خلال حياتنا المشتركة، أن بعض الأمور تسبب
الشقاق والانفصال، مثل: الكبرياء والإشفاق
على الذات، والتقوى الزائفة. فيجب أن نبتعد
عن هذه الشرور كلما ظهرت للعيان. وسوف
نظل دائما ضعفاء، غير
أن فرحنا يكمن في إيجاد
مصدر للقوة، يمكن له أن
ينتصر في كل صراع روحي.

هل يمكن للمرء أن يرتبط بجماعة معينة من الناس؟

من رسالة: إنّ الحياة مع
الإخوة والأخوات في المسيح
عطية عظيمة. (مزمور
133) وعندما تتأجج محبة

الله في صدورنا، وتوحّدنا للمثابرة على
التضامن الشامل فيما بيننا ككنيسة، سوف
نتغلب عندئذ على أي صعوبة أو صراع مهما
كان كبيرا. وإنّ ما يبعث على الارتياح، أن حياة
التلمذة للمسيح، لا تكون أبدا مجرد شيء
نتعلمه - حتى لو كان من خلال صراعات
شاقّة ومؤلمة، وإنما هي اختبار جديد للنعمة
الإلهية باستمرار. فيا لهذا الموضوع من
مفارقة عميقة! إذ إنّ إله إبراهيم وإسحاق
ويعقوب هو هو دائما، ولكنه الوحيد الذي
يحرّرنا من ملل الرتابة والناموس. لأن كل
شيء فيه يصبح جديدا.

يُعتبر

المال - وحب المال - خطرا

جسيما على حياة المؤمن

بالله، سواء كانت حياته

ضمن الحياة المشتركة أو خارجها. إذ يقول

يسوع: «فحيثُ يكونُ كنزُك يَكُونُ قلبُك.»

(متى 6: 21) وكان النبي المسيحي هرماس

يتحدث في فترة مبكرة من تاريخ الكنيسة

عن خطر امتلاك الحقول والمنازل وأي شيء

آخر له قيمة دنيوية. وكان يصرخ قائلا: «أيها

الأحمق والمتقلب الرأي

والمسكين، ألا تدرك أن كل

هذه الأمور ليست ملكا

لك، وأنها تحت سيطرة

قوة معادية لطبيعتك؟»^[6]

ورغم حقيقة أننا نعيش

في مجتمع يتشارك في

الممتلكات، ولدينا صندوق

مالي واحد مشترك، غير

أن خطر حب المال لا يزال موجودا. فيقول

يسوع المسيح عن نفسه: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ،

وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَعشاشٌ، وَأَمَّا ابْنُ الْإِنسَانِ

فَمَا لَهُ مَوْضِعٌ يُسندُ إِلَيْهِ رَأْسُهُ.» (لوقا 9: 58)

يمكن للمرء أن يرتبط بجماعة

معينة من الناس؟ وللإجابة على

هذا السؤال نضرب لكم مثلا من

حياة كنيستنا. فعندما يقدم أفراد كنيستنا

هل

Eberhard Arnold, ed., The Early) [6]

Christians (Rifton, NY: Plough, 1970), p.

(.285

ندورهم المؤبدة، نسألهم: «هل أنت مستعد

لتسليم نفسك دون تحفظ إلى الله وإلى المسيح

وإلى الإخوة؟» إنَّ النقطة التي نريد تناولها في

هذا السؤال، هي ليست عن الاستسلام لله

أو للمسيح، ولكن ما إذا كان المرء يستطيع

أن يرتبط بجماعة معينة من الناس. وكنتُ

أفكر في معنى التكريس المذكور هنا في

هذا السؤال؛ أي بمعنى هذا التسليم للذات

إلى الله وإلى المسيح وإلى الإخوة والأخوات.

فنحن نعرف الوصية الأولى

من وصايا الله - لا يَكُنْ

لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى سِوَايَ -

(خروج 20: 3) ونعرف

وصية المسيح: أَحِبَّ قَرِيبَكَ

مِثْلَمَا تُحِبُّ نَفْسَكَ. (متى

22: 39) ونعلم أيضا أن

مَنْ يَقُولُ بِأَنَّهُ يَحِبُّ اللَّهَ،

ولكنه يبغض أخاه فهو

كاذب. (1 يوحنا 4: 20) فلذلك لا نستطيع

أن نفصل التزامنا نحو الله عن الالتزام نحو

رفاق الدرب الآخرين الذين يريدون أيضا أن

يتبعوا الله.

ولكن هناك خطورة من ناحية أخرى،

في تقديم التزامات حياتية إلى أي فرد دون

تحفُّظ؛ تقديم الالتزامات «إلى الإخوة» كما

هو الحال هنا. فماذا يحدث لو أخطأ أولئك

الإخوة، حتى لو كان ذلك بطريقة غامضة؟

فرمما تصبح الجماعات الدينية بعد الجيل

الأول أو الثاني متمتمة في بعض النقاط. وربما

المشاركة في

العمل والمشاركة

في الممتلكات

والمشاركة في

الموائد ما هي إلا

ثمار المحبة.



تصبح متقيّدة بحرفية الشريعة إزاء بعض الأشياء التي تبدو صائبة، ويجري من خلال ذلك قمع حياتهم الروحية بواسطة هذه الأمور.

فلو رأينا هذا الخطر، فإنّ السؤال الحقيقي هو: «كيف يمكن أن يرتبط بعضنا ببعض رغم ذلك؟» وإنّ الجواب على هذا السؤال لا يمكن إيجاده، إلّا في الإيمان بالروح القدس - روح المسيح. ولا يوجد جواب آخر.

من رسالة: أحمد الله وأشكره على أنك اعترفت علنًا بالأفكار والمشاعر السلبية التي كانت عندك تجاه أفراد آخرين في الكنيسة. فإنّ الله أقوى من مشاعر ما نحب وما لا نحب. فهو يعطينا المحبة ويعطينا الحياة المشتركة، حيث يجري التغلب على مشاعر ما نحب وما نكره.

من رسالة: أفهم جيدا لماذا أصابتك خيبة أمل في جماعتنا التي تعيش حياة مشتركة. فأنا أيضا، ارتعد عندما أفكر في كل ما حدث في تاريخنا. ولكن في نهاية المطاف، فإننا في الحقيقة لم نكرّس حياتنا إلى أية جماعة تعيش حياة مشتركة أو إلى أية كنيسة، حتى لو كنا قد قدّمنا نذورنا بالوفاء إلى إخواننا وأخواتنا. فنحن بالأحرى قد سلّمنا نفوسنا ليسوع المسيح. فقد شهد يسوع خيانة الأصدقاء. وقد رأى كيف هجره تلاميذه. واختبر كيف تركه الله على الصليب. ورغم كل ذلك، كانت مشيئة الله الآب أهم شيء

عنده. فلذلك أنا أتمسك بشدة بهذا، وأحتك أنت أيضا بالتمسك بشدة به. وفي هذه الساعة التي يبعثر فيها العدو إبليس العديد من الناس، يجب علينا أن نأخذ كلمات يسوع على محمل الجد: «مَنْ لَا يَجْمَعُ مَعِي، فَهُوَ يُفَرِّقُ.» (متى 12: 30) وأمنيته أن أبرهن على وفائي ليسوع، وإخواني وأخواتي، من خلال الالتفاف معهم.

لو أردنا أن نعيش الحياة المشتركة لأي كنيسة كانت، وجب علينا أن لا نقوم بذلك إلّا في سبيل الله. وإلا فإننا سنكون عالية على الحياة الروحية للكنيسة، حتى لو كانت لدينا أحسن النوايا. ثم إنّ جهودنا سيكون لها وقع ثقيل على كاهل بقية أفراد الجماعة، حتى لو كنا نعمل ساعات أكثر من الأعضاء الآخرين، وحتى لو تمكنا من توليد مدخول أكثر من غيرنا. ونحن لدينا باب مفتوح لجميع الناس، ولكننا نتوقع أيضا من كل واحد يريد أن يبقى معنا، قبول التحدي الذي تفرضه التلمذة الكاملة للمسيح. وإلا فحياتنا المشتركة سوف تنهار.

ولكننا لا نريد أن «نُدخل» أعضاء جُددًا باستعمال كلام ناعم، أو إقناع أي شخص للانضمام إلينا من خلال إعطائه انطباع جيد وصورة ناصعة عن حياتنا المشتركة. إذ تأتي الحياة المشتركة بالكثير من الآلام والمعاناة، ولا يمكن لأحد أن يصمد أمام صراعاتها، لو لم يكن مُتَكِلًا كليًا على قوة الله. فنحن أنفسنا ليس لدينا القوة: فإنَّ الله مصدر قوتنا. ❦

إن شهادتنا للحياة الكليَّة المشاركة - ولحقيقة أن يسوع يجمِّع الناس ويوحِّدهم - تنسجم تمامًا مع وصايا يسوع ومع طبيعته. غير أن الحياة المشتركة في حد ذاتها ليست الأمر الحاسم؛ فالشيء الحاسم هو المحبة. فالمشاركة في العمل والمشاركة في الممتلكات والمشاركة في الموائد ما هي إلا ثمار المحبة.

من رسالة: نشكر الله دائماً عندما يقوي حياتنا المشتركة بالمزيد من الأعضاء الجدد،



المقالة مقتطفة من كتاب «التلمذة للمسيح»

غوستاف لانداور Gustav Landauer

جيسون لاندسل Jason Landsel

لم يكن غوستاف لانداور يساريًا أو بلشفيًا (شيوعيًا). فقد كتب في العام السابق لهذا الحادث، أن البلاشفة (اليساريين أو الشيوعيين) كانوا «يعملون من أجل قيام نظام عسكري، سيكون أكثر فظاعة من أي شيء شهده العالم من قبل.» لقد كان غوستاف لانداور شيئًا مختلفًا تمامًا: كان تائرًا على السلطة بطريقة خالية من العنف. وكان يعتقد أن الحل الوحيد لمشاكل أوروبا الرأسمالية، ذات النزعة العسكرية، هي الحياة في مجتمعات تطوعية مرتبطة بعضها ببعض من خلال العمل المشترك، والمحبة الأخوية، وبشيء آخر كان قد توصل إليه. وكان يعني مصطلح «الاشتراكية» بالنسبة إلى غوستاف لانداور،

في الأول من شهر مايو/أيار عام 1919م، في أعقاب هزيمة ألمانيا الصارخة في الحرب العالمية الأولى، استعادت القوات الرجعية شبه العسكرية مدينة ميونيخ من مجموعة من الشيوعيين الذين كانوا قد استولوا على المدينة. وقامت بإلقاء القبض على صحفي يبلغ من العمر تسعة وأربعين عامًا، كان قد شغل منصب وزير الثقافة في حكومة ميونيخ الثورية القصيرة العمر، واسمه غوستاف لانداور. وفي صباح اليوم التالي، وسط صرخات الجنود على غوستاف لانداور «أيها اليساري القذر»، ضربوه وأطلقوا النار عليه وداسوه حتى مات. رغم ما تفوه به الجنود من اتهامات،

« لا يمكن أن يأتي التحول في المجتمع إلا من خلال المحبة والعمل والهدوء.»

غوستاف لانداور

جيسون لاندسل Jason Landsel فنان لسلسلة مقالات «شخصيات رائدة» في مجلة المحراث Plough، بما في ذلك لوحة هذه المقالة



«نضال من أجل الجمال والعظمة وثناء الشعوب» (من كتاب «من أجل الاشتراكية» 1911م)، بعيدا عن نظام الدولة المفروض بالقوة، ويفترض أن تكون حركة على مستوى القاعدة الشعبية، تظهر عندما يبدأ الناس العيش بشكل مختلف، «بناء عالم جديد في غلافه القديم.»

وُلد غوستاف لاندور في عائلة يهودية من الطبقة المتوسطة في مدينة كارلسروه Karlsruhe في ألمانيا، في 7 نيسان 1870م. وتأثر جيله بشكل كبير بمناخ الرومانسية الألمانية، سعيا من خلال تركيز تلك الحركة على الحياة

الداخلية، إلى إيجاد إصلاح سياسي للمصانع والأحياء الفقيرة والسطحية البرجوازية المحيطة بهم.

تأثر غوستاف لاندور بشكل كبير بعد إنهاء دراسته الجامعية، بالحياة الثقافية والسياسية في برلين في تسعينيات القرن الميلادي التاسع عشر. وانضم إلى فرقة مسرحية، وتزوج من الممثلة كريتا لايشنر Grete Leuschner (التي طلقها فيما بعد). وبدأ في تطوير الأفكار التي من شأنها تحديد فلسفته: حاجة العمال إلى التخلي طوعا عن النظام الرأسمالي، وتشكيل مجتمعات مستقلة. لقد كانت هذه الرؤية التي حاول

مرارا وتكرارا العيش بها. وعند إطلاق سراحه من فترة سجنه الأولى - التي حُكم عليه فيها بسبب كتاباته في مجلة «دير سوزياليست Der Sozialist» - انضم إلى الجهود المجتمعية التي تسمى «المجتمع الجديد». وهنا التقى الفيلسوف اليهودي مارتن بوبر Martin Buber، الذي أصبح صديقا له مدى الحياة.

تلا ذلك فترة من الهدوء النسبي، عمل خلالها على ترجمة أعمال شكسبير ومايستر ايكهارت Meister Eckhart.

رغم كونه ملحدا، إلا أن غوستاف لاندور كان معجبا بشكل كبير بشخصية السيد المسيح، وذكر في كتابه «دعوة إلى الاشتراكية» أن «يسوع كان شخصية لا تنضب حقا...فماذا كان سيكون مصير الأنظمة القائمة التي تُدار بها حياتنا، بدون هذا الهدوء والسكينة ومعاناة الواحد العظيم على صليب البشرية!» لقد بدأ يرى من خلال بوبر أنه في اليهودية أيضا هناك خطوط عريضة لقوة من شأنها أن تجلب البشرية معا في عصر مسيحي قادم. وإنَّ الأساطير الحسيدية التي تعلمها، والتي أوضحها الفيلسوف مايكل لوي Michael Löwy في دراسته التي أجريت عام 1992م بعنوان «الفداء واليوتوبيا: اليهودية التحررية في أوروبا الوسطى»، شكلت بالنسبة إلى

«كان يسوع شخصية لا تنضب حقا - غني جدا، سخي ووفير للغاية.»

غوستاف لاندور

غوستاف لاندور «المستقبل في إطار الحاضر، والروح في نطاق التاريخ، والكل في إطار الفرد...الإله المحرر والموحد في داخل الإنسان المسجون والمتهاك؛ والسماوي في مجال الأرضي».

في عام 1908م، في نهاية فترة من الهدوء، ساعد في تأسيس الرابطة الاشتراكية، وهي اتحاد للمجتمعات التعاونية. ونشر في عام 1911م كتابه «نحو الاشتراكية»، وهو أوضح وأكمل بيان لفكره، الذي مفاده أن: «الاشتراكية لا علاقة لها بالمطالبة والانتظار؛ الاشتراكية تعني العمل».

وقد أفضت الحرب العالمية الأولى إلى إنهاء أنشطة الرابطة، لكن حتى أثناء الحرب، شجع غوستاف لاندور الألمان على أن يعيشوا حياة تعاونية مثمرة: بزراعة الطعام على حافة الشوارع وفي المروج - وهذه المشاريع ستكون مدارس مجتمعية. وبعد الهدنة، هزّ ألمانيا انفجار الاهتمام بالتغيير الاجتماعي-والاهتمام بفوضوية غوستاف لاندور، واللعبة الأكثر دموية للثورة الشيوعية. وقد كتب في مراجعة أحد الكتب عام 1910م، أن الماركسيين الشيوعيين «اعتادوا على التعايش مع المفاهيم، لا مع الناس. وكان هناك فصيلان منفصلان بينهم بصورة ثابتة، ويقفان أحدهما ضد الآخر كأعداء؛ إنهم لا يقتلون البشر، بل يقتلون مفهوم الاستغلال...»

لم يكن مثل هذا العنف أسلوب من أساليب غوستاف لاندور أبدا. فقد أصر ذات

مرة على أنه «لا يمكن أن يكون هناك سوى مستقبل أكثر إنسانية، إذا كان هناك حضور لمساعي أكثر إنسانية». إلا أنه قد تم القضاء عليه في حملة الحكومة التي شنتها على كل ما يناهض الانشقاق، وفقا لما كانت ترتأيه. وبعد اغتياله، وجدت إحدى بناته جثته ملقاة في إحدى المقابر الجماعية.

لكن موت غوستاف لاندور الجسدي لم يقتل إرثه الفكري؛ فقد تنامى تأثيره. وكانت رؤية غوستاف لاندور لشبكة متحدة من المجتمعات الزراعية هي المخطط الأولي لكيبوتسات إسرائيل؛ [7] كما شكلت أفكاره بشكل عميق، فكر مؤسس حركة برودرهوف للحياة المسيحية المشتركة وهو إيرهارد آرنولد Eberhard Arnold، مما دفع الأخير في عام 1920م إلى تأسيس مجتمع مستوحى إلى حد كبير من أفكار غوستاف لاندور المثالية.

سأل غوستاف لاندور في كتابه «دعوة إلى العمل» عام 1911م: «ماذا الذي صنعناه لجيلنا الأصغر؟...رجال صغار جنباء بدون حيوية الشباب، والقوة، والشجاعة، وليس لديهم أي فرحة لمحاولة عمل أي شيء... غير أننا نحتاج إلى كل ذلك. فنحن بحاجة إلى الجرأة للقيام بمحاولات عديدة...نحتاج إلى إخفاقات بعد إخفاقات، وشخصية قوية

[7] كيبوتس Kibbutz هو مجمع يهودي سكني وتعاوني، متقاسم في العمل ومصاريف المعيشة الرئيسية، وهناك الكثير من الكيبوتسات في إسرائيل.

بالوحدة، والانتكاسات، لن يحقق النصر
أبدا... إذ نريد إبداعا نابعا من القلب، ومن
ثم نريد أن نعاني حتى من خيبة الأمل، إذا
لزم الأمر، ونحتمل الهزيمة حتى نحقق النصر
ونرى أرض الميعاد.»

التي لا يخيفها شيء، وتبقى ثابتة بصورة
دائمة، وتبدأ من جديد مرارا وتكرارا حتى
تنجح، وتحقيق ما تريد، إلى أن يصبح من
الصعب التغلب علينا. وإنّ كل من لا يتحمل
أن يعرّض نفسه لخطر الهزيمة، والشعور



Photograph by @mckellajo from Hive & Hum.

«لا يمكن بسهولة اكتشاف طريقة استخدام الأموال كما
يظن البعض، لأنها لا تتوافق مع سبيل الله لفعل الخير.
فالسؤال الأول ينبغي أن لا يكون: كيف أصنعُ خيراً بالمال؟
وإنما: كيف أكفُّ عن صنع الأضرار به؟»

– جورج ماكدونالد George MacDonald

المحراث الفصليّة

حجر الأساس لعالم متجدد

العدد الصيفي لسنة 2019م

دار المحراث للنشر

Plough Publishing House

Walden, New York, USA

Robertsbridge, East Sussex, UK

Elsmore, NSW, Australia

جميع حقوق النشر محفوظة